

على احمد زباكية

همام

فني بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية



هَمَّام

في بلاد الأحقاف

هَمَام

فى بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية

نظم

على أحمد بكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

مُقدِّمة المؤلف

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت ، وكتبها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكان لها صداها في الأوساط الحضرية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمد الصبان مقترحا إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارها وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمي ، فرافقته على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًا له التوفيق فيما يتوخاه من خدمة أمتنا العربية .

المؤلف

علي أحمد باكثير

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥

القاهرة

٣ أغسطس ١٩٦٥

تصديـر

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدرامة الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلباً خفاقاً
ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المتزامية الأكناف ، ولهذه
الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض
الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه
قبساً من نور بهي .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ،
ولهذا تجددت فيه الروح الناهضة ، التي أوحى إليه بهذه الدرامة .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائراً على حالة وطنه
الراهنه ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في
الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحاً
تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تنزعم الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدراما صوراً لها ساخرة منها هذه الأبيات :

وليُّ الله ذو الحبــــــــــــــــو ة والأردية الخضر
وذو المسواك في العممة قد أربى على الشبير
ورب السبحة الغارق في التسبيح والذكر
بها يذكر في الناس ولا يذكر في السر

يرجع ناظم هذه الدراما جهل شعبه إلى جهل المرأة ، فهو يريد لها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكائتهن من شعوبهن ، فنهضن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شاباً مجدداً يسخط على المسيطرين بخداعهم وأضاليلهم على عقول الشعب ، ويحاول جهد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فلا يلاقي إلا عنتاً ، ولا يوصف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشعب عن طريق المرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :
صاحبات الزمان نحنُ حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

وهذا البطل موزّع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ، ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صوراً من الحياة الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف - بالرغم من هذه الثورة المضطربة في نفسه - لم يزل يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بالفاظ قريبة إلى روح الشعب ، فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سخط الساخطين وحنقهم . وله الحق في ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما ختمت به لكان ذلك أشد وقعاً وأجلّ أثراً ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ - ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

الإهداء

إلى مصدر الوحي الأول !
إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى
إليّ !
وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،
وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهيد

مكان الرواية	: مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل
زمن الرواية	: العصر الحاضر
أشخاص الرواية	:
همام	- بطل الرواية
حُسن	- حبيبة همام
محمد	- صديق همام ونصيره في المبدأ
علوية	- نصيرة وحبيبة محمد
زهراء	- أخت همام
خديجة	- أم حُسن
شهاب	- عم حُسن ووكيل أبيها
ولي الله	- خرافي دجال يتجر بدينه
سالم	- صديق محمد
الأمير أمجد	- أمير البلاد
بكر	- غني يطلب يد حُسن

جماعة من الأدباء		أحمد
		عقيل
		ابن عيسى
		عبد الله المغني
بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل	—	عامر
أخوات عامر البدوي		ناهيبة
		سعدى
		لبنى
رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات	—	نكرات مسرحية

الفصل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جواربها خزائن مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمدداً واهي الأركان ، يئن ألياً خفياً يشبه الغمغمة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل : »

المشهد الأول

زهراء : أخي ما بك اليوم ؟ إني أراك قليل النشاط كثير الضجر
أأنت مريضٌ وقيت الشُّرو ر ، وبلغك الله طول العُمر

هُمام : أى إنَّ بي مرضاً في الفؤاد يا زهراً يُنذرنِي بالخطر
ولا تجهلين ماذا بصينو لك مما بدا منه أو ما استتر
فماذا وراءك ؟ هل من جديد سد يحفف من وجدي المستعير ؟

زهراء : أخي لا تخف في الهوى أن تغيب
ولا تجعلنَّ ليأسٍ إليك
أيأسٌ متلك وهو الرِّيح
فأحرى بغيرك أن يستريح
كأنِّي بحُسنِ نَزفٍ إليك
نحيط بها الغانياتُ الحسا
ب؛ وهل يجهلُ الناسُ فضلَ القمر؟
سبيلاً ففي اليأس فوتُ الوطر
في الكففِ الشَّائلاتُ الأخر؟
إلى اليأس . لا بدَّ أن تتصير
عروساً تلمُّ ذبولَ الخفر
ن كالبدري بين النجوم الزهر

كَأَنِّي بِأَيَاتِنَا قَدْ غَدْتُ تُصَفِّقُ بِالْفَرَحِ الْمَزْدَهَرِ
وَأَنْتَ عَرُوسٌ تُحْيِي الْوَفَا دَ وَتُخَطِّرِينَ صَفُوفَ الزُّمَرِ

هُمام : أزهاراء لا عَدِمْتُكَ الدِّيارُ رُ ، حَدِيثُكَ يَقْشَعُ عَنِي الْكِدْرُ
لَأَنْتِ الْعِزَاءُ إِذَا مَا أَتَيْتِ وَأَنْتِ الْهِنَاءُ وَأَنْتِ الْحَبْرُ^(١)
فَأَيْنَ الْكِتَابُ ؟ أَمَا تَقْرئين ؟

زهراء : بلى ! ذَا الْكِتَابِ مَعِيَ قَدْ حَضَرَ
كِتَابُ كَرِيمٍ خَلِيقَ بِهِ بَأَنَّ يَكْتُبُوهُ بِنُورِ الْبَصَرِ
« بِلُغِ الْمَرَامِ » وَ« سُئِلَ السَّلا م » عَلَيْهِ تُحَجَّلُ مِنْهُ الْغُرَرُ
أَحَادِيثُ طَسِهْ وَآيُ الْكِتَابِ ب تَلَأَلُو فِيهَا خِلَالَ السَّطَرِ
وَأَقْوَالُ مُجْتَهِدِي الصَّحْبِ وَالْأَثَمِ لَةً مِنْ كُلِّ حَبْرٍ أَبْر
فَيَأْخُذُ مِنْهَا الْفَتَى مَا صَفَا وَيُتْرَكُ مِنْهَا الْفَتَى مَا كَدَّرُ
وَمَنْ لَأَذَّ مِنْ بَعْدِهَا بِالْهَوَى فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمُسْتَقَرُّ

« يَتَبَسَّمُ هَمَامٌ إِعْجَابًا بِهَذِهِ الرُّوحِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الَّتِي وَفَّقَ
لِبَدْرِهَا فِي نَفْسِ أَخْتِهِ . وَتَعْرِفُ هِيَ أَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ
تَسْلِيَةً لَهُ وَتَهْدِئَةً لِأَفْكَارِهِ الْمُضْطَّرَّةِ فَتَطْرُدُ فِي حَدِيثِهَا » :

فَلَا سَلِمَتْ كُتُبُ الْجَامِدِينَ وَلَا فَازَ قَارِئُهَا بِالْوَطْرِ
صَحَائِفُ لَا رُوحَ فِيهَا وَلَا يَجُولُ بِهَا ذَكَرُ خَيْرِ الْبَشَرِ
يُصَوِّرُ فِيهَا مُحَالَ الْأُمُورِ ر ، وَيُتْرَكُ فِيهَا مُهِمُّ الصُّورِ !
فَتَلُكُ الْجَوَاهِرُ أَيْنَ الرِّمَالِ لُ مِنْهَا وَأَيْنَ خَسِيسِ الْحَجَرِ ؟

« يستولى على همام الالبساط ويأمر أخته بالقراءة فتقرأ فصلاً من

الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضاً عليك أن تنشرى هـ
فهدى الشعب من هدى أمهم
وبنات الأحقاف أولى بأن يحذق
وبأن يطهرن من لؤ
فيرين الحياة من غير معنى
زهراء : لتطب يا همام نفساً فما تر
ولقد سرّنى استماع صديقا
همام : بارك الله فى الصغار ففيهن
إنما السرّ فى العجائز يجمد
زهراء : نحن بالأمس ثلّة ضمنا مجلس
ولدينا شريفة جمعت حسنا
سمعتنى - ولست أعرفها - أل
سقت من أخبار الشهيرات فى
تماقهن الحديث عن سيّدات
ثم حرّضنهن أن يتشبهن
قلت ليس الرجال أولى بكس
ومن العلم ما بُعِرفنا الدين
وأهم الأمور تربية الأو
صاحبات الزمان نحن ! حياة الن
إن نشأ فالورى بنا سعداء

لذا الهدى فى جماعة النسوان
ات الشعب فى كل موطن وزمان
من شتى العلوم والعرفان
ث الأوهام مما يخل بالإيمان
غير تلك الحياة وهى معانى !
جو سأسعى فيه بغيرتوان
تى لقولى وقدرهّن مكانى
قول للحق إمّا دُعينا
ن جُمود الحصى فلا يهتدينا !
عُرس فى بيت جار أينا
ولطفاً جمّاً وعقلاً رسينا
قى على الحاضرات درساً مبينا
الإسلام ما ردهن لى يُصغينا
فقن بعض الرجال علما ودينا
بتلك الشمس أو يقتدينا
ب العلم منا فإننا مُستورنا
ومنه ما سدّ فإننا مُستورنا
لاد كى ينشأوا من العاملينا
ناس فيه والموت فى أيدينا !
وشقاء حياتهم إن شيننا

فعلينا لربنا واجباتٌ ليس نبرا من إثمها ما بقينا
كيف نستطيع بالجهالة يوما أن نؤدي أمانة الله فينا ؟
صحن في أسمع الرجال : أليـ حس العلم فرضاً على النساء مبينا؟
فيم غادرتم البنات على جهل وقمتن تعلمون البنينا ؟
هل أقمتن مدارساً للواتي إذ أقمتن مدارساً للذينا ؟

* * *

فتدنت تلك الشريفة مني وحبتي من الثناء فنونا
ثم قالت : عمّن تلقيت هذا ؟ قلت عن صنوي الذي تعرفنا
عن همام . قالت همام أضحي بحسن بين الوري مفتونا ؟
والذي يذكرون عنه ابتداءً بمس هذا الوري وما يفتونا !
إنني قد أنست من قولك السا لف روحاً قياضة ويقبنا
فتساءلت من يكون الذي لقـ من هذي الهدى تلقينا ؟
فذكرت امرئاً جعلت فدا ه دون ما عابه به الجاهلونا !
ليتسى أستطيع أن ألقى عنه ه شيئاً ! أني لذا أن يكونا
قلت : نفسي فدالك يا ابنة طه أنتم آل بيته الأكرمونا
ليس بدعاً أن تنصروا سنـ لة الهادي بنصرها قمونا
إنما البدع أن يكون بنو المخـ ستار عن هدبه من الناكبينا !
غير أن ما رأيت مثلك في نسـ وة «سبؤون» تعشق المصلحيننا
إن سرّاً في الأمر يحسن لو أد ريه ، قالت يسرني أن يبيننا
نحن من بيت سادة يكره الدجـ ل ويأبى من الأمور الدونا

جَدُّنا الأَكْبَرُ الشَّرِيفُ « عَقِيلُ »
 سَنُ نَهْجُ الهَدَى لَنَا مَا حِينَا
 عِنْدَنَا مِنْ آثَارِهِ « سَيْفُهُ الْمَسْلُوكُ »
 لَ « يَفْرِي أَوْ هَامِهِمُ وَالظُّنُونَا

* * *

بَلَعَى عَنِي السَّلَامَ هَمَامًا وَرَجَائِي إِسَاءَةً فِي النَّاجِحِينَ
 وَغَدًا نَلْتَقِي وَيُحَرِّسُكَ الرَّحْمَنُ مَنْ قُلْتُ الرَّحْمَنُ يَبْقِيكَ فِينَا
 هَمَام : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ! هَذِي فَتَاةٌ مِنْ سَلِيلِ الْأَفْاضِلِ الْأَطْهَرِينَ
 جَدُّهَا كَانَ فِي الْحِجَازِ مَنْارًا لِلْمَعَالِي يُؤْمِنُ الطَّالِبُونَ
 ذَبَّ عَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ وَلَا قَى مِنْ بَنِي قَوْمِهِ أَدَى وَفَنُونَا
 رَبِّ آمَنْتُ بِالْوِزْرَاتِ ! أَنْتَ اللَّهُ أَرْسَلْتَهَا لَنَا قَانُونَنَا
 هَذِهِ رُوحُ جَدِّهَا ، رَبُّ وَفَّقَ هَا وَآزَرَ بِسَعْيِهَا النَّاهِضِينَ
 « يَلْتَفَتُ إِلَى زَهْرَاءَ مَسَائِلًا » :

أَلَدِيهَا رُوحٌ ؟

زَهْرَاءَ : قَضَى زَوْجُهَا النِّحْدَ بَصِيرًا لَمْ يَبْلُغِ الْعِشْرِينَ !
 وَقَضَى قَبْلَ رُوحِهَا أَبَوَاهَا فَهِيَ تُكَلِّبِي تَعِيشَ عَيْشًا حَزِينًا
 خَبَرْتَنِي عَنْهَا سَعِيدَةً إِذْ كَانَتْ قَدْ اسْتُخْدِمَتْ لَدَيْهِمْ سَنِينَ
 هَمَام : مَنْ يَلِيهَا إِذَنْ ؟

زَهْرَاءَ : شَقِيقُ أَبِيهِ عَالِمًا رَغْمَ كَوْنِهِ مَسْكِينًا
 هَمَام : ذَكَرْنَا لَكِي نَوَاسِيَةَ الْقَيْدِ نَتَّةً بَعْدَ الْأُخْرَى .
 زَهْرَاءَ : أَصَبْتُ قَمِينًا

- همام : لم تجد بعد زوجها خاطبًا ؟
زهراء : لا .
همام : أو ليست حُسْنًا كما تذكرينا ؟
زهراء : بل هي الحُسْنُ كُلُّهُ - عَلِمَ اللهُ - متاع الرائيين والسامعين !
همام : غير أن الشَّبَابَ في هذه الأنح - عاء بالحسن ليس يَحْتَفِلُونَا
إنما ينظرون للمال فلما ل هو الزوجة التي يخطبوننا
وَيَرَوْنَ الكَمَالَ في ذات أم لا يُرَى زوجُ بنتها مغبونا
تتوخى رضاَه في كل حين فتريه من الطعام فنونا
فكأن لم يكن لديهم من الحبِّ سوى ما يسدُّ منهم بطونا

المشهد الثاني

« في القاعة الكبرى للمدرسة حيث تقام الحفلة السنوية
وقد حضر إليها الناس من كل الطبقات ليشاهدوا التلامذة
ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .
التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطون
بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يا بني مدرستي إنى لكم ناصحٌ يصفىكم النصيح أمين
لبناتُ الشعب أنتم فليكن كلُّها من ذلك الصِّلب المتين
إنَّ برنامجَ تدرسيِّكم ليس برنامج قوم مرتقين

تُرهِقُونَ النَشَاءَ بِالْحِفْظِ فَمِنْ حِفْظِ تَقْرِيرٍ إِلَى حِفْظِ مَتُونٍ
 لَيْسَ فِي ذَاكُمُ لَهِمٌ مِنْ صَالِحٍ إِنَّهُ يَقْتُلُ فَهْمَ النَّاشِئِينَ
 فَدَعُوا الْحَشَوَ وَرَبُّوا فِيهِمْ مَلَكَاتِ الْحَذَقِ فِي كُلِّ الْفَنُونِ
 اسْتَقُوا التَّوْحِيدَ مِنْ يَنْبُوعِهِ وَانْبِذُوا كُتُبَ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِينَ
 لَا تَرِيدُ النَّفْسُ إِلَّا حَسِيرَةً لَا كَأَسْلُوبِ الْكِتَابِ الْمُسْتَبِينَ
 لَمْ تَوْلَفْ لَكُمْ هَاتِيكَ ، بَلْ أَلْفَوْهَا لِحِجَاجِ الْمُلْحِدِينَ
 وَاقْصِدُوا فِي الْفَقْهِ لَا يَأْخُذْكُمْ لَيْسَ فِي الْفَقْهِ غِذَاءُ النَّاهِضِينَ !!

« أَحَدُ الشُّيُوخِ يَقُومُ وَيُحَاوِلُ تَسْكِيَتَ هَمَامٍ وَيَصِيحُ » :

يَا عِبَادَ اللَّهِ ! هَذَا مَارَقٌ يَنْدُبُ النَّاسَ إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ
 أَسْكُوهُ أَسْكُوهُ ! إِنَّهُ يَا عِبَادَ اللَّهِ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ
 شَيْخٌ آخَرُ : هَذَا وَهَابِيٌّ !
 ثَالِثٌ : هَذَا مُعْتَزَلِيٌّ !
 رَابِعٌ : سَلُّوْا فَااه
 خَامِسٌ : لَا تَدْعُوهُ يَغْوِي النَّاسَ !
 سَادِسٌ : هَذَا مَا كُنَّا نَخْشَاهُ !

« هَمَامٌ رَافِعًا صَوْتَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْغَضَبِ » :

أَنَا لَا أَصْغِي لِتَسْكِيَتِ امْرِئٍ أَنَا لَا أَخْشَى صِيَاحَ الصَّائِحِينَ
 خُطْبَتِي لَا بَدَّ مِنْ إِتْمَامِهَا

شَيْخٌ مَتَنُورٌ : أُنِّمِ الْخُطْبَةَ إِنَا سَامِعُونَ
 لَا تُبَلِّغْ ؛ مَنْ رَامَ أَنْ يَقْطَعَهَا فَلْيَقُمْ إِنْ شَاءَ فِي الْمُنْصَرَفِينَ

همام

: أنا لم أدعُ إلى غير الهدى
أنقمتهم دعوة الناس إلى
« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يا شبابَ الحي ، لا
.. ..
اقرأ وافقه حديثَ المصطفى
لا تهابوا اليومَ أن تجتهدوا
وكتاب الله باقٍ خالدٌ
ادرسوه درسَ أحياء ولا
ادرسوه وفقَ نهجِ خطئه
إنه يشعل في أنفسكم
إنه يبعث في أرواحكم
فتح الدنيا بها أسلافنا
وأضعناها فهنا بعدها
ليست الأخلاق لنا في الخطي
إنما الأخلاق أن لا تُبطنوا
إنما الأخلاق أن لا تتركوا
رفع الإسلام من أنفسكم
لا تذُلوا لسوى الله ، ولا

يقصكم عني مقالُ الجامدين !
ليس في الفقه غداء الناهضين !
تعبروا الشكَّ إلى برد اليقين
إن سرَّ العلم للمجتهدين !!
تنجلي آياته في كل حين
تدرسوه درسَ قوم ميّتين
(مصلح الإسلام^(١)) ذو الفضل المبين
جنوة الدين وعِزُّ المؤمنين
قوة هائلة لا تستكين
من ربى الغرب إلى السور المكين
وغدونا مُضغَّةً للأكلين
وخضوعاً هو للنفس مهين
غير ما للناس أنتم تظهرون
نصرة الحقِّ للوم اللامنين
فارفعوها عن دعاء المقبرين
تخضعوا إلا لرب العالمين

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

لله ما أفصحه !

الآخر : والحق - والله - معه !
الأول : لكن هؤلاء لا ييغوننا أن نسلم معه
الثاني : أقواله مؤلمة هؤلاء موجهة
الأول : لأنها تقطع ما كان لهم من منفعة
همام : حكموا الأنصاف فيما بينكم لا يكن قوم لقوم حاقرين
فالمساواة على أعذليها ميزة الإسلام عند الباحثين !
وأخو الحق إذا لم يُعطه أخذ الحق انتهاباً باليمين

* * *

المشهد الثالث

« بهو كبير - في دار أحد أدباء البلد - مفروش بالبسط
الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانها برسوم فنية جميلة
للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضراء . جماعة من الأدباء
في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدين يشربون ويتحدثون .
أمامهم عدة شاي مصقولة يخطف بريقها الأبصار يتولاها
أحدهم . يدخل همام مسلماً » .

همام : عموا مساءً يا أصدقائي

الحاصرون : مسيت بالخير والهناء

أهلاً وسهلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى يذم فينا أبا العلاء
همام : في الدين أو في البيان ؟
أحمد : بل في كل الشؤون على السواء
همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا بد من العدل في القضاء
« ملتفتاً إلى أحمد »

وأنت ماذا تقول فيه ؟

أحمد : إنني أراه في الأتقياء
همام : كلاكما قد غلا ، فهذا ذم ، وذا لَجَّ في في الثناء
بل هو في شعره إمام جَدَّد نهجاً للشعراء
لكنه كان في أرنباب من دين مولاه وامتراء
فقال ما قال غير خاشٍ ولا مُداجٍ ولا مُرءٍ
وممكن أنه حُظِّي في أخرى لياليه باهتداء
فربُّ شلِّ أفضى بمولا ه - بعد ما حار - للجلاء
« تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأساً »

شرابُ الشاي خيرٌ لي من الدنيا وما فيها !
إذا ما أقبلت كأسٌ كخزْدٍ في تهاديهما
قولي لهم من نفسي ودانت لي أمانيهما !
عرفتم من هو القائلُ هذا الشُّعرُ في الشاي ؟
يرى في الشاي دنياه فما صِحَّةُ ذا الراي ؟
(أحد الأدباء) : عقال

لا تعجبن همام تلك حقيقة كالشمس فيها الشاربون سواء

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا ما لم يكن شاي ولا ندماء ؟
 همام : إنَّ في الشاي عِزاءً لصريع الهَم والغَم
 لكيب أو حزين أو عميد أو متيم
 حاز لطفَ الخمر إلا أنه غير محرم ؟
 من صفاء اللون في العين وحسن الذوق في الفم
 هو مسلاة أديبٍ فيه من بلواه مَعْصَم
 ورسولٌ للتآخي يجمع الناس وينظّم
 غير أن القصيدة في الأشياء منجاة ومغْنَم
 فغلونا فيه حتى صار فينا يتحكّم
 وغدا وهو على القبر ت الضروري مُقَدَّم !
 وشربناه بلا وزنٍ وتقدير مُنظَّم
 فلَكُم يسلبنا المآلَ وكم يُسقمنا كم
 ولكم ألحى على بيتٍ كريم فتهدّم
 ولكم عائلية جرّ عها صابأا وعلقم
 ولقد زاد بسلامٍ أنه في قُطرناء عَم
 فهو في القصر ، وفي البيت ، وفي الكوخ المرمم !!
 عقيل - ملتفتاً إلى «عبد الله» المغني :

يا بلبل الأفراح والسُرور اصدَحْ. ثمُ سيقاك في الحضور
 غن لنا شعر (أبي كثير) في الشاي وانشر ميت القبور !
 (يتهياً المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :
 يا صاحب القلب الشقي بقسومه إرفق بهذا القلب لا يتحطم !

أخدم بلادك ما استطعت وكل إلى

مولاك ما لم تستطعه وسلم
ومن الجفا أن لا تحيي مثلما حيّاك وجه العيد مبتسم الفم
ذرّ بعض همك واقض بعض حقوقه
لا بلد للمحزون من متبسم !
واقذف شياطين الهموم بأكؤس

تنفض من (برّاد) شاي معلّم^(١)
مخضرة جنباته فاعجب له من جنة خضراء فوق جهنم !
شاي يفوز من احتسائه بلثمة من كل خلد في الحسان ومبسم !
من (باسلامة) مثل ذوب التبر أو

من (مشعي) مثل لون العندم^(٢)
مثل الطلاء في لونها وصفائها ونقيضها في رجسها والمآثم
لا نقص عنها فيه إلا أنه خلّو المذاق وأنه لم يحرم
فاشر به متخذاً نديمك كل ذي أدب متى نادته لا تندم

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أجدت

آخر : لقد رَوّح ست بالصّوت أكباداً وأرواحاً

همام : وقد تفرد بالإحسان شاعرنا إذ ضمّن الشعر توصيفاً وإصلاحاً

وأنصتوا لشاعر من شعرائكم سري

« الحامدي » يصف الشاي بوصف عبقرى !

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .

(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

روّق لها ماء الغمام وهاتها لي والحباب يجول في جنباتها
 صهباء ما عبت بها يدُ عاصر ما عاشرت إلا أكف سقّاتها
 من جيّد الشاي استحال عصيرها
 فغدت تحاكي الشهب في جاماتها
 قد راق منظرها ورق زجاجها
 فليعلّة لم يُدهقوا كاساتها
 لولا انتصاف الكاس خيل أنها
 في كف ساقها تقوم بذاتها !
 وإذا الهموم على النديم تكاثفت
 وبدت أشعتها جلت ظلماتها !

حقّا لدينا نهضة أديّة لا تُنكر
 عمّرت نواديننا ، بها يستبشر المستبشر
 نشط البيان فشاعر يتدلّو وآخر ينثر
 هذا لعمرى مؤذن بنهوضنا ومبشّر

(يتنهّد)

لكنّ .. مشي العلم في أحيائنا متعسّر !
 جمّد (الفقيه) على متو ن بالشُّروح تُفسّر
 وكأنّها التنزيل أو هي بالقداسة أجدر !!
 ويرنل (النحوي) كُتب خلافه ويقرّر
 يمضي عليه عمره لا يستطيع يُعبر !
 أما (الحديث فإِنَّهم يتلونّه كي يؤجروا
 ووظيفة (الذكر الحكيم) على القبور يكرّر !
 أمّا سوى هذي العلو م فأمسره مُستحقّ

كيف النهوض لأمة لا علم فيها يُذكر ؟
 في الدين والدنيا جميعاً سيرها مُتَقَهِّراً
 أحد المتأدين (معترضاً) :

إنا علينا السعي للـ أأخرى ؛ وللدنيا سوانا !
 أو ليست الدنيا بسججـ من المؤمنين كما أتاننا ؟
 الله يأمر أن نكو ن أجلاً أهل الأرض شاننا !
 وأشدهم بأساً وأر فـهم وأعلاهم مكانا
 كيما نقيم العدل في الـ دنيا ونملأها أمانا
 فإذا أتبعنا ما يقولُ فسوف يُدخِلنا الجنانا
 فنرى بها الدنيا كسجـ من لا نرى فيها رضانا
 والدين بالدنيا فليس يقـ يوم ما ضَعُفَتْ قُوانا
 وطبيعةُ الإسلام لا ترضى المذلةَ والهوانا
 هذا المرادُ ، وحسبنا قرآنُ مولانا بياننا

همام

« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة
 والمشايخ كانوا قد حضروا المجلس » :

يا بني الأشراف قوموا وانهضوا

فكفى ما كان منكم من كسل
 اعملوا لا تتوانوا واعلموا أن هذا ديننا دين عمل
 بينما الناس على أعمالهم بين تشمير وجدّ مكتمل
 تنهّدون كأسراب القطا وتمشّون كقطعان الهمل ؟
 أفلا يغشاكم فيه حبا ؟ أو لا يلحقكم فيه حجل ؟

أحدهم : إنهم أسياننا ينهوننا : إن هذا الرأي منهم خطل
فعلينا العلم أن نخدمه فمضى عُذٌّ من العار على
عن تعاطينا لأعمال السفلى وأراكم لا تقرون الخطل
وسيفنى من على الله اتكل ! يجلب الخير إلى أهليه من
سيد مسعاه في خير السبل ؟ وأخيات على أوجهها
والد أعى وأم تبتهل تمنى ما لدى جاراتها
كمدة اليأس ولألاء الأمل ! أو لم يكتسب المختار في
سؤال الناس لا بُدَّ يذل طالب العلم ولا كسب له
إغما الكاسب عين المتكل ! ليس من لم يكتسب متكلا

* * *

أبني الرسول تعلموا وتدبروا سُنن الحياه
لا تجملوا ! إن الجمود سبيل من كره النجاه

* * *

أسلافكم وجدودكم شهدوا عصوراً غير هذا
فلو انهم شهدوه ما انتبذوا عن الدنيا انتباذا

* * *

لا تجعلوا أعمالهم حججاً ، ولكن تحصوها
فخذوا محاسنها وخلوا ما ترون الرئب فيها

* * *

لا بأس من تمجيد ذك — راهم ففي التمجيد ذكرى !
كم حاضر تحت الرمو — س أفاده ماضيه نشر

* * *

لكن بحيث يُهيب نح — و المجد منطلق القيود
العصر غير العصر وال — أشبال أبناء الأسود !

* * *

كانوا هداة الناس بل — كانوا ملائكة التقى
قد أكبروا شأن الفنا — وأصغروا شأن البقا

* * *

لما سرت رُوح التصو — ف والتبتل فيها
مقتوا الحياة كأنها — أشياء لا تعنيهم

* * *

فالموت همهمو ، وغا — ية همهم دار المآب
فغنوا لهذا بالقبو — ر وما إليها من قباب

* * *

وتعشقوا الموتى فأح — يوا لأذكارهم المواسم
يحدون عندهم العزا — عن عيش سوء غير دائم

* * *

فقفوا أمامهم خشو — عا في سكون واحترام
فقد انقضت أدوارهم — فعليهم أزكى السلام

* * *

شَهِدُوا زَمَانًا فِيهِ قَدْ غَلِبَ الْجُمُودُ عَلَى ذَوِيهِ
أَنَلَوْهُمْ ظُلْمًا لَّأَنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقًا مِنْ بَنِيهِ ؟!

* * *

إِنَّا لَنَظْلِمُهُمْ إِذْ هُمْ اتَّقَاةَ الصَّالِحِينَ
رَامُوا رِضَىٰ مَوْلَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُونَ

* * *

لَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلْحَقِيقَةِ طَالِبِينَ
لَا تَقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ مُسَلِّمِينَ

* * *

وَتَدَافِعُوا عَنْهُ — عَلَىٰ جَهْلٍ — بِحَقِّ أَوْ بِطَاطِلٍ
لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ عَنْ خَطِيئَةٍ وَإِنْ كَانُوا أَفْضَلَ

* * *

الْيَوْمَ قَامَتْ نَهْضَةٌ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ حَيَّةٌ
وَسَرَتْ إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ — فِ حَيَاتِهِ الْأُولَى الْقَوِيَّةُ

* * *

شَبَّتْ بِهَا الْحَرْبُ الضَّرُوءُ — سَ عَلَى الطَّوَارِئِ وَالْبَدْعُ
مِمَّا بِهِ الْأَهْوَاءُ قَدْ مَا أَلْصَقَتْهُ وَالتَّيْبَعُ

* * *

فَلَقَدْ هَوَتْ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى — سِى الْخَضِيضِ الْأَوْهَدِ
وَقَضَتْ عَلَى أَوْطَانِهِمْ — لِلْمُسْتَبَدِّ الْمَعْتَدِ

* * *

لا بدّ من هذا الرجوع إلى الكتاب الخالد
وإلى هُدى المختار والـ سلف الحكيم الراشد

* * *

فعلّكموا أن تدخلوا هذا الغمار ولا تكعّوا
أنتم بنو الهادي فما في سبقكم للفضل بدع

* * *

كونوا مثال النبيل كـ نوا قادة للمسلمين
والدين كونوا في طلب عـة ناصريه المصلحين

* * *

واقضوا على الأوهام لا تجدن بينكم نصيرا
ومتى دعوتكم للصالح هديتم بشرا كثيرا !

* * *

وتعلّموا أن الـورى في شريعة الهادي سواء
ما الفضل إلا بالتقى والكل من طين وماء

* * *

أما التقاليد القديمه فاتركوها أجمعاً
أو لم تكن للفتنة الـ عمياء فيكم مهيعاً ؟

* * *

عاذ جرت قدما يطول بها القوي على الضعيف
العصر بمقتها ، وليس يقـ رها الدين الحنيف !

(يرى ثلة منهم يتهامسون)

فيم تهامسون ؟ ومم تعجبون ؟

(ينظر بعضهم إلى بعض ويحجب أحدهم) :

القوم للذي قد قلت منكرون !

آخر : يقولون ترشّدت !

همام : وهل بالرشّد من لوم ؟

فهذا (قُطِبَ الإرشاد) (د) ربّ الفضل في القوم !

أحدهم : نحن نعنى فئة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جاهرتنا بالعدا في (جاور) وبوادي (حضرموت) في الجفا

همام : سؤتم ظناً ، وما زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إنني من أعظم الناس لما كان من شغب (بجاوا) أسفا

وأراها سببة تجعلنا في عيون الناس بين السخفا

غير أنني لا أرى أعظم أسـ سبابها إلا جمود الشرفا !

وقفوا في وجه سئل لو تولّـــوه بالحسنى لأروى وشفى

فطغت أمواجه ، حتى لقد جرف الأسداد فيما جرفا !!

حكّموا الأهواء ثم انطلقوا بالأهاجي يملأون الصحفا

ونسوا أن المبادي لا ترى نُجّحها ما لم تواخ الشرفا

* * *

أنا لا أعرف (إرشادية) لآ ولا (رابطة) أو جنفا

إنما أعرف (إسلامية) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناس سواء لا ترى فيهم ربّا ولا مستضعفا

أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذ هجرنا المصحفا

أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهل علينا السدفا

فغدا العُرفُ لدينا مُنكرًا وغدا المنكرُ فينا عُرفًا

* * *

أنا لا أعرف إلا دعوةً (لجمال الدين) شقت غُلْفًا
تندب الناس إلى دين الهدى مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام ، ولا بدع تحسب فيه زلفًا
تفتح العلم على أبوابه في وجوه المسلمين الحنفا
ليكونوا سادة الدنيا — كما وعد الله — عليها خُلْفًا
ولقد آيدها تلميذه « عبده » فيما دعا أو ألفا
بث روح الحق في أتباعه فغدوا فينا غيوثًا وكُفًا
فلنبث الروح فينا هذه في إحياء ووفاق ووفيا
لنحوز الفوز في الأخرى وفي هذه الدنيا المقام الأشرفا

* * *

يا بني الأحقاف توبوا للهدي

واتبعوا (الذكر) ولوذوا (بالسنان)

وانشروا العرفان في قطركم

واستغلوه وأحيوا كل فن

وتناسوا ما مضى وامتزجوا

وارحضوا الأحقاد عنكم والإحن

* * *

بينكم جنس ، وديـن جامع

ولسان وعهود ووطـن

(ستار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا له ورسائل . يستأذن عليه « محمد » .. يتعانقان ثم يجلسان على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخي ! أين تغيّبت ؟ فعهدي بك من شهر
جرت في الربع أحداثٌ وظني بك لم تدرك
محمد : ذهبتُ إلى زيارة شيخ — شيخ أهل الكشف والسرّ
(وهنا يتسم ابتسام السخرية)

عمود الدين في « قَيْدو » ن « شيخ البر والبحر
ألم أخبرك إذ يَمُتُ ما يَمُتُ من أمري ؟
همام : (متنفسا الصعداء)

بلى إنني ذكرتُ الآ ن ! فاقبل يا أخي عذري
بلانني الله بالحب ! فعقلي ذاهل دهري
نهاري كله فكر ! وليلي مدمع يجري ا
ولا ينفعني علمي ولا رأيي ولا فكري
ولا المشهور من فضلي ولا المتع من شعري ا
محمد : أخي ! لا تنس أن تصير فالنَّجح مع الصَّبر
وخلّ اليأس ولتقرأ معي : إن مع العسر

لما تألم في جسمي وما تغتم في صدري !
وما يحمله ظهرك محمول على ظهري !
ألا تخبرني ماذا جرى طيلة ذا الشهر ؟
: جرى .. ماذا جرى ؟ لا همام
« ولي الله » ذو الحُبُو
وذو المساوِك في العِمَّة قـ
وربُّ السَّبْحَةِ الغار
بها يُذكرُ في الناس
ومن يمشي بعُكازين
يطاطي رأسه للأر
تدنى من (شهاب) سا
أتاه خاطبًا (حُسنًا)
ولم يألُ اجتهدًا عنـ
رمانِي بصنوف الزيغ
ولا تجهل طرقَ القو
: خفف عليك ! فإن أمرَك هين محمد
أفقدُ عدوك روحه بسلاحه
(في شيء من العتب والموجدة) همام
أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا
إن لم نكف عن الآثام نفوسنا
بكرًا ؟ وأين مقامه ومقامي ؟
فعلام ننقم ضلَّة الأقوام

محمد

: لا يُخَطِّ ظَنُّكَ ما أَرَدْتُ ، فلم أَرِدْ

إِنَّا نَلْـؤُذُ بِسَبِّةٍ وَمَلَامٍ

إِنَّا لَنَرِيباً أَنْ نَقَارِفَ خَلَّةَ تَزْرِي عِمْدَتُنَا الْقَوِيمَ السَّامِي !

لكن أَرَدْتُ سَقُوطَ هَذَا الْمَرْتَشِي

بِطَرِيقَةٍ تَكْسِبُوهُ ثُوبَ الذَّمِّ

وَنَرِي مَخَازِيهِ الْأَنَامِ لِيَقْلِعُوا عَنْ هَذِهِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ !

مَنْ كُلِّ قَاسِي الْقَلْبِ يَنْصَبُ دِينَهُ لِقَضَاءِ لَذَاتٍ وَجَمْعِ حَطَامِ

سَاطِئِلِ مَحَنَّتِهِ ، وَأَبْطَلَ سِحْرَهُ قَسْراً وَالصِّقُّ أَنْفَهُ بِرَغَامِ

وَسَيُصْبِرَنَّ ذُوو الْعَقِيدَةِ فِيهِ فِي

بَرْدَيْتِهِ أَيَّ مَدَجِّلٍ أَثَامِ !

همام

: (وَهُوَ يَبْتَغِي ابْتِسَامَةَ الْإِعْجَابِ وَالرَّضَى)

بُورَكْتَ يَا خَيْرَ الصَّخَابِ ! وَبُورَكْتَ

رُوحَ الشَّجَاعَةِ فِيكَ وَالْإِقْدَامِ

لِتَنَمَّ جَفَوْنِي مَا سَهَرْتَ فَإِنْ أُنِمَّ

وَسَهَرْتَ أَنْتَ فَلَسْتُ فِي النَّوَامِ

محمد هَاتِ عَنِ قَيْدِ نَّ مَاذَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ ؟

وَمَا شَاهَدْتَ فِي الْمَوْسِمِ مَنْ عُرِفَ وَمَنْ نُكِرَ ؟

وَهَلْ وَفَّقْتَ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّذْكِيرِ وَالزَّجْرِ ؟

تَوَافَى النَّاسُ أَفْوَاجًا إِلَى قِيَادُونَ كَالذَّرِّ

فَمَنْ سَاعِيَةٌ تَمْشِي وَمَنْ رَاكِبَةٌ الْحُمُرِ

هَنَّاكَ السَّاحَةَ الْكَبِيرَى تَحَاكِي سَاحَةَ الْحَشْرِ

بِهَا مَا شَتَّ مِنْ لُحُو وَمِنْ لَغُو وَمِنْ هَذَرٍ

محمد

وقد غصَّتْ بأشْجَاتٍ من الآسَادِ والعُفْرِ !
تبارت ثمَّ في الخِلْـةِ سِـيَةِ والأبرادِ والخُمُرِ
وقد يَقتُلُنَ بالمُعْصَمِ أ و بِالنَّظَرِ السَّحَرِي !
من الظُّهْرِ إلى العَصْرِ إلى مُنْبَلَجِ الفَجْرِ !
هناك الخُسْرُ في الدين وحسب الناس من خسر
ولا يربح في تلك السـ زيارات سوى النَجْرِ
وأما سِـادِنُ القُبَةِ فهو الرابح المِثْرِي !
تُساق لِدَارِهِ الأكِيـا س من حَبٍّ ومِن ثَمَرِ
و (للصندوق) ما يـا ع من ورقٍ ومن تـير !

* * *

ولما حضر الوقت تداعَوْا كضَحَى النَّفْرِ
وأثْمُوا نحو قبر الشَّيْـةِ سَخِ بالطَّيْلِ وبالزَّمْرِ
يصيحون : وليَّ الله جَنَّاكَ إلى القَبْرِ !
أتيناكَ لكي تَحْمِلَ عَنَّا ثِقَلَ الوِزْرِ
وكي تُسَبِّلَ يا قُطْبُ عَلَيْنَا ضَافِيَ السَّيْرِ
وفي الأنفُسِ حاجاتٌ بها يا سيِّدى تَدْرِي !
أتيناكَ لكي تُقْضَى ونحْطَى مِنْكَ بالسَّيْرِ

* * *

ولما وصلوا القُبَةَ داروا دَوْرَةَ الحُمَرِ
وأهْوَتْ راحُ ذاك الجَمـ ع في التابوت بالنقر

فلا تسمع إلا ما يصيب السمع بالوقر
 هناك الناس غير النـ اس في الإخبات والذكر !
 فهذا خاضع شاكٍ وهذا دمعه يجري
 وهذا ينشج النشجة تستعصي على الصدر !
 وهذا يرعد الرعد ة في أعضائه تسري !
 وهذا ينذر النذر وهذا جاء بالنذر
 وهذا صائح : يا سيـ سدي عطفاً على فقري
 على عجزى وإهمالي على ضعفي على ضري
 وقد جُللت القبة بالزينة والسـ تر
 ويضات من البلو ر غُلّقن على الجدر !
 فمن حمر إلى صفر إلى زرق إلى خضر
 ومصباح كبير الضوء مثل الكوكب الدرّي
 وللتابوت معنى من جلال العتق والقدّر^(١)
 قد اسودّ من التقييل في مختلف العُصـ ر !
 عليه ضيّبُ الفيضـ سة في أسود كالحرير
 فتبدو كتغور الزنـ سج إذ تضحك من أمر !
 فتمّ الضم والتقيـ ل بالثغر وبالنحر
 تلاقى فيه دمعاً الشا ب والجارية البكر !

* * *

(١) العتق : القدم .

ولما سكن الجمعُ	سكونَ الموج في البحر
ترأى الناس شيخاً ذا	شقاشقَ فيهم هُذِرْ
ينادي : أيها الناس اهتدوا	بناؤا بالفوز والنصر
بهذي النعمة العظمى	بنيل الفضل والفخر
قصدم باب ذى عطفٍ	وذى جود وذى برٍّ
وإنَّ الشيخَ لا يتركُ	من زار بلا أجر !
عليكم بخلوص القصص	سد في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطاب	بوالخدمة والصَّبر
وإياكم وسوء الظن	من بالصوفيَّة الغرِّ
فأهلُ الله هم . جازوا	مناطَ النهي والأمر !
ملوكَ لهم التصريح	ف في السر وفي البحر

* * *

سمعنا أن في (حدري)	تباشير من الكُفر ! ^(١)
تصديّ ناشئ غر	بلاه الله من غرّاً
يُرَبِّي الشَّعْر كالْفُسَّا	ق إذ يُعْنَوْنَ بالشَّعر
تلقى من فنون العِلْم	م ما زاد على القَدْر
فأغواه وأرداه	وجاء النفع بالضّر
ومن شيقوته استحلّى	حميمَ الأدب المزري
جريء القلب لا يعب	أ بالتهديد والزجر

(١) تطلق حدري على ما سفل من حضرموت كشبام وسيوون وتريم . وعلوي على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين .

يَيْتُ السَّمِ فِي الْجَاهِ — لُ وَالْعَلَامَةُ الْحَبْرُ
يَسِيءُ الظَّنَّ بِالْأَقْطَا — ب أَهْلَ الْمَدَدِ السَّرِّيْ
لَهُ أَتْبَاعُ سُوءٍ كُلِّ — هُمْ يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ

* * *

هنا قممت وقد ضاق
رما باليت بالغوغا
وقلت اسكت عجوز السو
عدو الله والإصلا
أتدعو الناس للنكر
فصاح الشيخ : غولوه
فلولا أن تسللت
لكانوا أعدموني مهـ

بي الواسع من صدري
ء في عسكرها الجمر
ء يا داعية النكر !
ح ! هل تهذي ولا تدري ؟
وتهجوا داعي الخير
فذا من شيعة الغرّ
من الجمهور بالفرّ
جتي بالضرب والدّفر^(١)

ہمام : (یضحک و یقوم إلی محمد و یضرب علی کتفہ)

حماك الله من سوء وقاك الله من شر
لقد قمت مقاماً لا يُوازي عظمه شكري
ولا بد لذي الإصلا ح من عزم ومن صبر

* * *

(١) الدفر : الدفع في الصدر .

المشهد الثاني

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة
بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار
بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

- علوية : (داخلة الغرفة)
أيها الربع سلامٌ عنيكم !
خديجة : (ناهضة لاستقبالها)
وعليكم ألف ألف سلام !
مرحباً أهلاً بشخص كريم
(تتصافحان فتجلسان)
علوية : يا صباح الخير !
خديجة : هذا صباح
بك طَلَقَ نَغْرُهُ في ابتسام
علوية : كيف حال الربع ؟
خديجة : في خير عيش
نسأل الرحمن حُسْنَ الدوام
علوية : أين حُسْنٌ ؟ إن شوقي لحسن
مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظامي !
خديجة : هي في غرفتها
علوية : إئذني أن أراها ..
خديجة : هي ذات احتشام

تستحي من زائرنا
(تقبل الخادم بعدة الشاي)

- علوية : وماذا ؟
 خديجة : قصدنا الأُنسُ وطيبُ النَّدَامِ
 علوية : قَسَمًا أَشْرَبُ إِلَّا إِذَا مَا نَشَرْتُ حُسْنَ بَسَاطِ الْمَدَامِ
 خديجة : (مبتسمة)
 أُنَجِّدِينَ احْتِيَالًا كَهَذَا ؟
 علوية : إِنَّمَا أُمْلَى احْتِيَالِي هِيَامِي

(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراءها حسن تمشي على استحياء)

- علوية : (قائمة)
 مرحبًا بالبان يهتزُّ لِنَا | مرحبًا بالبدر بدر التمام |
 (تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها
 وتجلس إلى عدة الشاي)
 يَوْهَ | مَا أَجْمَلُهَا مِنْ فَتَاةٍ | يَوْهَ | مَا أَصْلَحُهَا لِهَمَامٍ |
 صَلَوَاتُ اللَّهِ تَغْمُرُ طَهَ | وَحَمَاهَا اللَّهُ مِنْ عَيْنِ رَامٍ
 (يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان
 وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي)

خديجة : (في تجاهل واستغراب)

مَنْ هَمَامٌ ؟

- علوية : تسأليني عنه ؟ ليس يخفى البدر بين الأنام |
 ذلك المصليح زَيْنُ شَمِ — باب القطر ذو الهمة والإعترام
 ذلك الحالي بكل جميل ذلك العاقل من كل ذام
 ذلك المشهور في كل قطر بمزياه الكِئَارِ العِظَامِ

والذي سارت بحسن قوافيه - إلى مصر وأقصى الشام
(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيراً له)

لا تظنني رسول همام أنا لا أعرف شخص همام
إنما آسف أن كرمنا مثله يُمنى بقوم لثام
هو يسقيهم كموس حياة وهم يسقونه كأس سام^(١)
خديجة : ما تقولين ؟ أليس همام حاد عن نور الهدى للظلام ؟
ودعا الناس إلى أن يقولوا فيه ما قد زوروا من كلام
علوية : ما استطاعوا أن يزئوا إلا بالذي يُعليه أسمى مقام
خديجة : إن قلبي ليوذ هماماً ورضى بنبي أقصى مرامي !
(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حسن لهما)

فتقاطع حديثها وتلفتت إلى حسن قائلة) :

أتحيين هماماً :

حسن : (في تلعثم وخجل)

ومن لا يعد .. شق الحر الحسيب العصامي
فرع الناس بعلم وخلق وجهاد في الهدى واعتزام !
خديجة (عائدة لتمة حديثها)

غير أنني لا أطيق كلام النـ اس في زوج ابني باللام
فلزوج البنت عندي محل في السويداء من القلب نام
خبريني كيف أَدفع عنه حين يُرمى بالفري وأحامي
ليته خلّى زمام الورى فيهم ، فما كان برّب الزّمام
فيهم يهتهم بأمر سواه وهو لما يَعدُّ سنّ الغلام ؟

(١) السام : الموت

لو تملئ بليالي صباهُ
لو تخلى عن شؤون البرايا
وتعامى عنهم !

علوية : هو يخشى
فالذي يكم علم الهدى يُلـ
إنما ضرّ البرايا تعامى
يصرون النور وهو مضىء
ويرون الناس في ليل جهل
يتراءمون على كل قبر
ويرون المنكرات عظاماً
ويقولون : لنا بالآلى قد
أنرى نعزو إليهم ضلالاً
مثل هذا عذرهم وهو عذر

فمضت في غبطة وسلام !
وتولّى شأنه باهتمام !
غضب الله لهذا التعامى
جَمُّ من نار لظى بلجام
هؤلاء العلماء الضحام
فيلوذون بسبتر الظلام !
يتدجى أفقه بالقتام
ومصاب الدين في ذا التزامي
فتراهم عندها كالعظام
غبروا من قبل حسن اتمام
وهم أمثلة الاعتصام ؟
سوف لا يقبل يوم القيام !

* * *

فخليق بفتى كهمام
إذ يرى موطنه في انحطاط
دب فيها داء جهل وخلف
فانبرى ينعشهم من حمول

أن نرى غيرته في اضطرام
ويرى أمته في انقسام
وعداء قاتل وخصام
ومضى يوقظهم من منام !

خديجة : فهبني قد رضيت ، فمن لي
وهو لا ينفي ويثبت أمراً

بشهابٍ وهبو صعب الزمام ؟
بسوى رأي (الولي) الإمام !

جاءه من قبل عشرين يوماً
ورجا تزويج حُسن (لبكر)
قال : إن المصطفى يتسأذى
وأولو البرزخ سوف يغيرو
: (في غضب)

علوية

ذلك الدجال لا ريب فيه
قد رشاه بالريالات بكر
أفؤاد المصطفى غير راض
وأولو البرزخ كيف يغيرو
معشر ماتوا وصاروا إلى النية
تُرّهات جعلوها من الديـ
أولي الله عبد الخطام ؟؟
والرشي للقطب غير حرام
عن غيور عن هداه يحامى ؟
ن على حي وهم في الرجاء ؟؟
سران ، أو صاروا لدار المقام
ن ، تعالى ديننا المتسامى !

* * *

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

علوية : صديقتي ! إنني لمشتاقة إليك

زهراء : واشوقي للقياك !

(تتعالقان بلهف)

علوية : أهلاً بمتاك ، وشكراً لذكرك
: عندي بشرى لكم

زهراء : بشري
: علّ المنى في طي بشراك

- علوية : أين همام ؟
 زهراء : أهى بشرى له ؟ هاتى أطال الله حياك !
 علوية : ييكى لها الباكي ؟ ألا ويحه فإنه ثم على حالة من الأسى ييكى لها الباكي !
 زهراء : هاتى أيىنى : ما الذى جئنا به ؟ رعاك الله مولاك
 علوية : لعل أن تفثأ عنه الأسى يىناك ، ما أبرك يىناك !
 زهراء : خديجة لئنت من قلبها على همام
 علوية : كيف وأين ومتى ؟ هل جرى ذاك ؟
 علوية : زُرْتُهَا أمس وهاك ما جرى هاك

« تقص عليها حديث أمس كله مما جرى بينها وبين خديجة وحسن .

تستأذن زهراء لتبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حين إلى علوية » .

- زهراء : بشرته فانهملت عينه من فرح ما كان لولاك
 علوية : وقام من مضجعه ناهضاً يشكر حق الشكر مسعاك
 زهراء : لم آت ما أشكر من أجله !
 علوية : يمثل ذا اللطف عرفناك
 زهراء : إن هماماً قانع فى الهوى بكذبة من فم أفاك !
 علوية : ويأخذ اللفظة فالأله من قصة يوردها حاك !
 زهراء : وقد يرى الحليم فيعنده نور رجاء وسط أحلاك

فكيف لا يبكي سروراً وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فله خجله محمد ذو الخلق الزاكي
لازتما عون أخي دائماً والله يرعاه ويرعاك !

* * *

المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد (ولي الله) لتحقيق المهمة التي كلفه
محمد إياها . يدخل على ولي الله في غرفة فخمة مزدانة بكل ما
يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده
مستنداً إلى جبهة من الوسائد ماذا رجليه لرجل عنده يكبسهما » .

سالم	: سيدي يا صاحب السر العظيم	يا ولي الله يا غوث العديم
	متع الله بمحياك الوري	إنما وجهك مصباح العقيم
الولي	: مرحباً بالخادم السر الذي	خصه الرحمن بالقلب السليم
	حسن الظن بأهل السر يا	خادمي تحظ بجنت النعيم
	آه - لو يعرفني هذا الوري	لأتوني من قصيات التخوم
	أنا جيلاني هذا العصر ، قد	وطئت رجلاي أعناق النجوم
	نحضت بحرًا وقف الخلق على	ساحليه في زهول ووجوم -
	من رأي أو رأي من رأي	فهو محذور على نار الجحيم
	أهل هذا القطر ما دمت به	في رخاء وهناء مستديم
	يولد الطفل على عيني ، كما	يرحل الراحل أو يغني المقيم
	أسعد الناس بنا أحسنهم	نية فينا فذاك المستقيم

- وأشدُّ الناس خسرًا من بنا
سَاءَ ظَنًّا فهو شيطان رجيم !
ذاك في نار لظى مهما يكن
كامل التقوى يصلي ويصوم !
ولقد قام أخيرًا ناشئ
صرفته عن رضى الله العلوم
رام إسقاط مقام الأوليا
جاهدًا ينفث في الناس السموم
زاعمًا أنَّ الورى في ضلّة
وهو يمشي وحده النهج القويم
هكذا من كان لا شيخ له
من أولى الباطن في الغي يهيم !
: سيدي علّ همامًا قصدكم
ذلك المفتون بالرأي السقيم
: نحن لم نعن سواه
سالم
: أنـنا لي
في علاج الناس أسلوب حكيم
: زعمنا استطعنا به إن شئتم
أن تردوه عن الغيّ الذميم
: أنت لا تسطيع أن ترجعه
للهدى أو تحيي العظم الرميم
: إنَّ هذا لحال !
سالم
: أنـني
بالذي يُغري همامًا لعليم !
: إنني أعرف مثوى ضعفه
فسأرميه بنبلي في الصميم
: إنه يهوى فتاة لشها
بِ هوى قيس ليلي في القديم
هو في غير الهوى ضرغامه
وهو في الحب ضعيف كالظليم
وشهاب خاتم في كفكم
ليس يعصى لكم الأمر الكريم
لو سعيتم لمام عنده
فضمنّا لكم أن يستقيم !
: (في غضب وهياج)
الولي
ليت شعري كيف أقضي حاجة
لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
كبه الله على منخره !
وسقاه الله في النار الحميم !
كم عنائي أمره من مارد !
ولكم عذب قلبي بالهموم !

والذي نفسي فى قبضته وبه السَّبع السماوات تقوم !
نحن لولا أنَّ فى غضبتنا لضربنا ضربةً تنسِفُه
وأصابت بيته نائبةً : إنَّما نقضي على أنفاسه سالم
إنَّ هذا هو الرأى الذي يحفظ الناس من الداء الوخيم
: أتراه يرعوي عن غيِّه : إن أعنَّاه على نيل المروم ؟ الولي
: ذاك ما لا شكَّ فيه ، وأنا : لكم بالكفِّ عن ذاك زعيم سالم
: خادمي ! رأيك هذا صائب : فهمام خطرٍ فينا عظيم ! الولي
غير أنَّ الأمر قد فات ولم يبق في الرأى مجال للحكيم
قد خطبناها (لبكر) قبله وحبانا منه بالمال الجموم
فرميناه (بصندوق القرى) لغريب أو فقير أو يتيم !
(يسكت قليلاً ثم يقول)
كم همائم دافع من ماله ؟

: ضعف بكر أيها المولي الكريم سالم
: ذا إذا ألف ريال ! هاته : قم ! وثق أنا سنقضي ما يروم الولي
إن بكرًا ذو غنى ، لكنه يابس الكفِّ شحيح ولثيم !
سيرى عاقبة البخل غداً عندما يُخطِئُه الوجه الوسيم !

(يستأذن سالم بالانصراف فيصرف . يعود إلى بيت ولي الله

من الغد)

سالم : قد فعلنا كلَّ شيءٍ وظفِرْنَا بهمام
وارتضى ما قد شرطنا ه عليه بالتزام
وهو مسرورٌ بهذا شاكر سعي الإمام
تاركٌ دعوته النكـراء من أجل الغرام

الولي أخذ أن ليس يؤذيكم بفعلٍ أو كلام

سالم : أين ما أعطاك ؟ هل أقـبلتَ بالمال اللزام ؟!

الولي : هاك تحويلاً إلى « جا وَا » بألف بالتَّمام
(يمد يده للتسلم)

هاته ليس لجيبي بل لصندوق المقام !!

المشهد الخامس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جاءني الليلة آتٍ في المنام صائحا يهتف حسنُ لهما
إن بكرة فسدت نيتَه في توليها بحبٍّ واحترام
شهاب : إنه يا سيدي مبتدع

الولي : إنه قد تاب عن هذا الإثم
شهاب : (في استغراب) ومتى تاب ؟

الولي : أتاني نادماً أمس مما بث في الناس السمام
إذ دعونا الله أن يهديه سمح الله بإدراك المرام
شهاب : (في خضوع وتسليم)

ليكن ما شئتم يا سيدي نحن نرضي رأي مولانا الإمام

المشهد السادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء	: صديقتي ! إنَّ قلبي	مما فعلتكم لموجع
	أشتاقكم غير أنني	من وصلكم أتمنع
	فإنَّ جرحي منكم	فيه الأسا ^(١) ليس ينفع
	ولو أطعت صوابي	ما جئتكم أتسكع
خديجة	: زهراء : لا بأس بالعتـ	ب فهو للودّ أجمع
	ما ساء قلبك مني ؟	قولي لعلي أرجع !
	فرمما خـبّ واشـ	فينا إلى الدحس يهرع ^(٢)
	وذا زمان لئيم	فيه المودات تقطع
زهراء	: إن هماماً شقيقـ	له بقلبي موضع
	فنيلكم منه نيل	مني بغير تورع
خديجة	: زهراء ! أسرفت في تهـ	ممي ، فبعض التسرع
	فما ذكرت هماماً	إلا عما عنه يسمع
	من الخروج على النسـ	اس في تقاليد تتبع
	قصصت ذاك لعصماء	من بنات المشفع
	لأنها لهمام	رأيتها تتشفع
	قامت تدافع عنه	بحجج ليس تدفع

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه دأواه أي لا تنفع المداواة فيه .

(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

زهراء وإن قلبي ليهوى
إذن فمـاذا التـأبـي
إلا رحمتهم فتى من
تكاد أحشاؤه من
: إن الإبا من شهاب
لأن رأي شهاب
: (في غضب) زهراء

خديجة القطبُ لصٌّ عن
يشرى ويتاع « حُسـ
كأنها سـلعة في
ألم يبعها « لبكر » ذا
كأن سود الدياجي
ثم أرتجي من همام
ورعما باعها في
والناس ظنوا أباكم
إن الوليَّ عن سوء
أبوكم ليس يدري
ولو درى لتبراً
: (وهي تتألم) خديجة

أقد تُحدّث عنا
يا ويلتاه ! أنؤتي
إننا أناسٌ على عزّ
بذاك في كل مجمع
من حيث لا نتوقع ؟
نا نحامي وندفع

أعراضنا هي أغلى ما في الحياة وأمنع
لو كان يدري شهابٌ لما تهنّأ بمضجع
وسوف يدري عسى عن هذا المدجل يُقلع
(تنهد وتستعبر)

يا ليت (سعدًا) لدينا في أمرنا اليوم يقطع
لما ألاننا اجتهدًا في أخذ ما هو أنفع
لكنه غاب عنا تسع سنين وأربع
في أرض (جاوا) التي تأكل الرجال وتبلع
راح ليجمع مالا لنا به نتمتع
يا بئس ما جمعت كفـه وما هو يجمع !!
ماذا يفيد الغني من يخسر أهلاً ومربع
تزوجت « مزفة » عُرّ سها به لم يمتّع
تسأل : أين أبوها ؟ فلا تجيب ، وتدمع
وهذه أختها أو شـكت تزف وتخلع
فواشـقاء حياة فيها الفؤاد موزّع

ولم يجـد إلا وليّ الله خير مسـعد
 فلم يدع رأي صديقـه فقـه الفتى « محمد »
 ولم يكن ذاك الذي يهدي السورى بمهـتد
 مـدّ إلى الدرهم جيـد مـدّ ذلّة في صيـد !!
 وكان ما كان فلا تغضب ولا تفنـد
 أنت عليك الغـرم والغـم لرب المـدد !
 هذا جزا تارك رأيـه له لرأي أحد !!

* * *

المشهد الثامن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عم ما الذي جرى ؟ ردت مـننى اليـدا
 شهاب : ألسـت قد قبلتـنى فما عدا ممـا بدا ؟
 (يتجلد ويخفي غضبه) :

بكر : (في وقاحة) حظك يا بكر — الذي حـلأ عنك البـوردا
 شهاب : فاطلب سواها تـلـسـن فقهن كالرمال عـددا
 (في وقاحة) :

بكر : وأين أموال السـي أنفقت فيها بـددا ؟
 شهاب : لمن دفعتهـا ؟ !

بكر : لمـو لانا الولي المفتدى !
 شهاب : (في سخريـة)

إذن فخذها منه لا تطلب سواه أحدا
بكر : (معرضًا)

أعطيتُ له لأنَّه كان لكم معتمدا
شهاب : (في غضب)

خسئتُ يا نذلُ فقم وخلُّ عنك اللدا !
أليس فينا حاكمٌ فاشكُ إليه من على مالِك - إن شئت - اعتى !
بكر : (في تضعُّع وخجل)

إذن ... فمالي كُلُّه
.. أكلُّه .. وازدردا ..
إذن ... فلم يعطك من مالي ... شيئاً أبدا .. !
أما اكتفى بما ارتشأ ه نصف ألفٍ عددا ؟
يا ويلتا ! واحسرتا ! واحزننا .. ! واكمدنا !
لأرفعنَّ أمرَه إلى الأمير «أجعدا»
أفضحه عند الوري .. !
شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصرت الهدى !
بكر : (يتنهد)

فليمض مالي لظهو ر سـيئاته فـدي !!

المشهد التاسع

(همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتدري يا همام لأيّ أمر دعوتك لي ؟
همام : خير يا أميري ؟
الأمير : ألم تعلم بما اجترمته كفا ولي الله من إثم كبير ؟
همام : بلى هذا حديث قد فشا في حماننا في الكبير وفي الصغير
الأمير : فماذا أنت يا سندي مشير به في مثل ذا الأمر الخطير ؟
همام : أرى أن تحبسوا الجاني وأن لا

تمسّوه بسوء أو نكير
فمطلق حبسه كاف - أراه - لردع سواه من أهل الشرور
الأمير : ولكن والدي يخشى علينا - إذا عاقبته - سوء المصير
يُحاذِر دعوة منه علينا فُلْجِقْنَا بأصحاب القبور
همام : أمير ما عهدتك غير حرّ طليق الفكر متقد الشعور
وحسبك ما قرأت عليك طردًا

لأوهام توسوس في الصُّدُور
أتعرفُ إثمسه وتخاف منه ؟

أتقبل دعوة العاصي الكفور ؟؟

كذاك الوهم تُشربه نفوس فتشهد ما تُخيّل من أمور
وقل لأبيك ذا بكرٍ شكاه وهتك ما عليه من ستور
فلو كان الولي لديه حولٌ لكان رماه بالسهم المبير

الأمير : فإن تجبسه جئت به دليلاً
فليس أذاه مقصوداً ولكن
لقد قررت هذا الرأي قبلاً
وإن الدجل أبغض كل شيء
يسجل عجز أقطاب الغرور
ليُطْل سحره بيد الأمير !
فبورك في ذكائك من مشير
على الدنيا يضيق به ضميري

* * *

المشهد العاشر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمد أنت الجريء الفؤاد وأنت صديق همام الوفي
فلو كان من ربه رسالة لكنك حواريه المقتضي
وتعلم ما كنت أؤذي هماً ما به غير هادٍ ولا منصف
أتابع في أمره مفسداً يبيع ويتاع بالمصحف !
وإني على ما مضى نادم وأنت بإصلاح أمري حفي^(١)
محمد : ألا مرحباً بالسليم الفؤاد وبالظاهر السيرة الأشرف
بعتهم حبيبة خير الرجال بمن لا
بمن لا يُقرُّ على المنكرات وليس يُطاطى للمعسف^(٢)
همام يُحبك مهما فعلت به عن ولائك لا ينتفي
يراك أباه فمهما قسا عليه لتأديبه يعطف

(٢) هو الظالم الشديد العسف .

(١) عارف وخبير .

(يتسم شهاب وتتهلل أسارير وجهه)

شهاب : فله ما كان أنقى هما
أضارسه ثم يلقى ودوداً
محمد : بقدر نبالة أخلاقه
تمادي به جها فهو لا
بيت يناجي نجوم السما
ويجلس في بيته للطعام
فيذهله الحب عما لديه
واني لأخشى عليه — إذا
هنالك نخسر زين الشبا
ويسألك الله عن مهجة
شهاب : (وهو يبكي)

لكفير أعمالي الخاطية
عليّ خفّ على باليه
فيغفر زلاتي الماضية
وعرضت نفسي للهاوية
محو خطيئاتي الخالية
قصوري في الجنة العاليه
اتكالا على الزلف الواهيه
سفعني غير أعمالي الزاكيه
غير النصوح من التوبة الماحيه
همام فزني بها ناحيه
مخازي مدجلنا الغاويه
كفى يا محمد ! إني أتيت
فلو كان ذنب همام فحسب
أزوجه اليوم من حسنه
ولكنني قد عصيت الإله
لقد غرّني وعد ذاك الولي
وبشّرني أنه قد رأى
فلم أتزوّد لندار البقاء
فأيقنت ذا اليوم أن ليس ين
وأن ليس بمحو خطاياي
نصائح كان ينادي بها
فها قد بدت لجميع الأنام

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـ — نذي لتطهير أدرانها كافيهِ
فلا تبتئسْ ، إن ربَّاً هـذاك ليغي بك الخير في الثانيهِ
« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قائلاً »
وأمرُ همام ؟؟

شهاب : وماذا يريد هـ — وأم ليس لحسنٍ سواه
هي اليوم بين يديه وما — مُنأي من الدهر إلا رضاهُ
ولكن حديث (الرشي^(١)) المس — تنفيض شوش أفكار أم الفتاه
فما زال يلهج أهل الحمى — بأن (الولي) همام رشاه
وأن شهاباً تسلم أموال — بكر ولم يعطه مُبتغاه
فقلت نؤخر تزويج حُسـ — لنقطع ألسن هذى الوشاه
فما كان للمال إشارتنا — ولكن لعلم وفضل وجاه
فأوص صديقك أن يطمئن — إلى الصبر حيناً ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقو — ل همام إذا رُعتهِ بالخبر ؟!
أقدم باقة زهر له — وأطوى له الصلّ بين الزهر
فلو رُحت تنصّحها بالعدو — ل عن رأيها ! عليها تأمر !
علام تبالي كلام الطغام — وما ينطقون بغير الهنر ؟
وأعيان (سيوون) تدري ال — تحقيق وبعد غدٍ يظهر المستر
سيُحبس هذا الولي الشقي — وتفضح سوءاته والعرر

(١) جمع رشوة .

شهاب : لعلك تجهل أنّ النساء إذا قلن شيئاً فهن القدر
ولا يرعوين عن الرأي لو وضعت بأيمانهن القمر
فكم قد سعت وكم قد نصحت ولكن كأنني نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقام هنا ،

شهاب : ليرح نفسه بالسفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجـ ر (جاوة) أو للبلاد الأخر
وبعد ثلاثين شهراً يعو د ، وسوف تمر كلمح البصر
هنالك تبلغ سن الزواج (حُسن) وتنضج نضج الثمر
وربما عاد (سعد) إلينا فيزهو به عُرسنا إن حضر

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

« بين همّام وزهراء » .

زهراء

: (في جزع)

أهمّامُ خبرني بوّدك لي مالي أراك تنضّد الكتب ؟
ماذا اعتزمت أن أنت تاركنا للحادثات تسومنا الكربا ؟

همّام

: (في حنو)

لا يا أخيّّة ! أجملي جزعا لا ينس قلب المؤمن الربا
سفري لطول إقامتي سبب ولربّ بُعد أعقب القربا
(يتغير وجهه)

إنّي أخاف إذا مكنتُ هنا أن لا أطيق فأقضي النجبا !
(يخالط صوته البكاء)

أيسرُ قلبك أن أموت أسى في الرّبع إذ تبكينني ندبا ؟
أو ما رأيت القوم قد قطعوا صوت الحياة وكان قد ليّ !
حفلوا بسمعتهم - كما زعموا - لكنّهم لم يحفلوا الصّبا
ليمت شهيدا من يشاء ولا يتوهموا في عرضهم ثلّبا
آه ! أهذا كلّ ما أتمنى ؟ ولقد وهبت الروح والقلبا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله)

فيستحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسن ! معذرة فأهلك نا لهم الملام وما جنوا ذنبا
حاولت عتبههم بتوءدة لكنني لم أحسن العتبا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن ترضى رأيت عذابها عذبا !
وإذا غضبت غضبت في بصري فأرى الخليفة كلها غضبي !
(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)

زهراء خليتي لأرحل عن هذي الديار فأسلو الحبا
فلقد لقيت به دواهي له رُغنَ الجبال تركنها تربا
هيهات هيهات السلو ! ويا ليت السلو يُباع أو يُحبي !
أفكلما سَفَرَ اللقاء أتى آتٍ فسدل دونه الحجا !
أو كلما ابتسم الربيع لنا جرت الدبور وهبت النكبا ؟
(: آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه)

زهراء

عفواً هُمام فليسَ قصـ لكن شـجاني أن تفـ
إنَّ البلاد لسوف تَفـ نجمٌ يفيض هدايةً
نجمٌ يفيض هدايةً ثبأ للهر دأبه
تبأ للهر دأبه أيصدُّ مثلك عن مطـ
أهمام إن كنت اعتزمتَ على الرحيل فخير عزم
إذهب وعُدَّ عما قريب سـ يكون ربك حافظاً
ولسوف تدرك ما تؤمـ ثقتي بحسن أن تُعيد
ك خففت حزني وهمي

همام

: (في حزن وأسف)

لكنَّ حُسْنًا لم تشأ تنوير خطبي المدهم
كم قد كتبتُ لها الرسا ئل بين منشور ونظم
فتصدَّ عنها لا تجيب كأنها لا تعرف اسمي !!
وطلبتُ منديلًا لها ليكون في الظلمات نجمي
ويكون أنسي في البعا د يكفُّ من حزني وغمي
أوي إليه إذا نزا قلبي بضم أو بلثم
ولقد أتاني ردها لكن تعثر فيه فهمي
وإليك فاتليه ثم اقضي على حُسن بحكم
(يناولها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرسالة :

حبيبة قلبي عللي بتنويل
أقضُ زمانِي في رجاء وتأميل
بعثتُ إليك الكتب تترى ، فلم أفز
ببعض جوابٍ منك يا غاية السؤل
كأنني لم أحمل هواك ، ولم يكن
لقاؤك قصدي في الحياة ومأمولي !!
وهذي النوى قد أوشكت أن تميل بي
إلى عالم من رقعة الأرض مجهول
أقضي به دهرًا قضيتهم به على
حُشاشة صبَّ عائر الجدِّ مخدول

فجودي بما أملتُ منك وأجملي
وداعاً لفتون بحُبِّك متبول
وإني لراضٍ منك يا حُسنُ بالِّفا
بقطعة ثوب أو بشقّة منديل ،
لعلي أسطيع ابتزاًداً من الجوى
بضمّي إياه لصدري وتقبيلي ؟
همام

الرد

جوابك عندي ما تظنُّ ، فلا ترم
بكتِّبك إحراجي فإنك ذو علم
وإني فتاةٌ ليس أمري في يدي
فإن شئتَ فاطلب ما تؤمِّل من أمي
حُسن

زهراء : (تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)

همام أمّا جوابُ حُسنٍ	فإنه أبلغُ الجواب
دلّ على الحبِّ والتفاني	فيك إلى عِفّة الجناب
وإنها إن تحبَّ يوماً	ففي حمى الصّون والحجاب
إن كتاباً يأتيك منها	رسولُ أمالك العذاب
ما تبتغي أنت فوق هذا	يأتيك من عادة كعاب ؟
لولا هووى صادقٌ لديها	لم تر منها نصف كتاب
وسوف آتيك بالذي رمّ	ته فلا تبقَ في اكتاب

المشهد الثاني

(همام على حمارة في طريقه إلى الساحل (المكلا) بعد
أن شيعه إخوانه وأصدقائه . أمامه دليله البدرى عامر يقود
جملا له يحمل زادهما)

همام	: رويدًا رويدًا حِمَار البعادِ	فإنك تبعُدُ بي عن حبيبي !
	ولم يك خطوُكَ فوق الترى	ولكنه فوق قلبي الكيب !
	أراك كنتعش بجسمي يسيرُ	ولكن إلى غير قير قريب !!
	فيا بعد (سَيوون) عني؟ ويا	ذُنُوكِ (جاوَة) من ذي السُّهوب !
	عليها السلام سلامُ الودا	ع، سلامُ البكاء ، سلامُ النحيب
	سلام على حسن بين العذارى	سلام على قلبها في القلوب !
	سلام على دارها في الديار	سلام على دربها في الدروب ؟
	سلام على أهلها الطيبين	من كلِّ برٍّ كريمٍ نجيب
	سلام على وطنٍ طاهر	تضوُّع منها بمسكٍ وطيب
	سلام سلام على ساعدي الـ	أشدَّ وصنوى المطيع الأديب
	سلام على خيرة الأصدقا	ء محمدٍ الألعى الأريب
	سلام على لطف زهراء إذ	تفرِّج همي ، وإذ تعني بي !

(همام في بلاد الأحقاف)

(يخرج المنديل من جيبه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا منديل أنك مؤنسي وأنك عندي للكريم المحب
وما ضرر من ينأى - وأنت بكفه أنيس نواه - أنه يتغرب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلا
يتأمل في تلك الآثار) .

كانت مزارع ما لها حد	انظر إلى هذي السهول فقد
- غير الممر لراكب - تبدو ^(١)	كانت جنانا لا فجاء بها
أهضام من حذرته تمتد	من عدوة الوادي القصي إلى الـ
فغنوا وعيشهم بها رغد	عمر الجدود بها مواطنهم
منه العهود وما بها بُعد	ما بعد عام الألف ما قدمت
لدام الألى اشتغلوا بها بعد	لما تحف بها مواطيء أقـ
سبيضاء والأفواه والرنـ	البـ والسمراء ، والذرة الـ
بقطوفهن كأنها شهد !	والنخل والأعناب حافلة
من سُنس خضرا فينسـ	والسدر يفرش في الفضا بسطا
بين الحقول يزينها البرد	فهناك النعماء تخطر ما
يعتاق صفوهم ولا جهد	لله عيشهم فلا كدر
فلقد تقادم ذلك العهد	دع عهدا العادي من قدم
تحت الجنان كأنها الخلد !	إذ كانت الأنهار جارية

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده
حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها
خالية من الأشجار والزررع إلا مقدار ما يمر الراكب .

تلك الحقائق لا يُصدقها	قوم عيون قلوبهم رمد
تلكم بقابها تدلُّ على	ما كان - سدُّ دونه سد !
يحتاز ماء القطر يقسمه	بين الأراضى حكمها القصد
فنمت مزارعها فما فتئت	فيها الغيوث تروح أو تغدو
هي سنة الباري فما كثر الـ	أشجار فالأمطار تشتد

* * *

قف سائل الآثار كيف ذوت	تلك الخمائل فهي ذي جُرد
تخبرك إن نطق : ورثما	نطق الجماد وقوله الرشد
في بطن أرضٍ أنت واطنها	همم تصول فليس ترتد
تصبو إلى العمل المفيد ترى	أن السعادة ركنها الجدُّ
فتلاهم خلف كأنهم	لا ساعد لهم ولا زناد
فسبيلنا ترديدنا أبداً :	نعم الحدود وبقيت الولد !!

* * *

المشهد الثالث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت - وقد كادت الشمس تغرب - إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أبا البدو وحثّ جملك لا يُظلم الليلُ ويشتدّ الحلك
ونحنُ لمّا نأت بعدُ منزلَك أبلغك الله بخير مأمك
ولا أصاب الحبُّ يوماً مقتلك

عامر : هُمام يا خير سَراة العُرب لا تذكر الحبَّ إعيان صَبَّ
متى دعا داعي الهوى يُلبَّ إني أحسُّ ضرماً في القلب
يدفع في صدري ويكوي جنبي !!

همام : بالله هل تُعرف معنى الحب؟ وما به من فرح وكرب
وهل سَعِدْتُ مرةً بالقرب أم أنت مثلي مستطار اللبِّ
لَمّا يَفْزُ من حوضه بشرب

عامر : أنتَ إذن يا صاحبي سعيدٌ وإنني وحدي أنا المعمود
من بعد ما طابَ لي الورود حَلانِي عن حَوْضِها الصُّدود
فليسَ لي صَبْرٌ ولا مَجْلود

همام : أنت السَّعيد وأنا المنكودُ فالوَصْلُ مهما قلَّ فهو عيدُ
تُشفِّي به من دائها الكُبود لكنَّ هجري الأبدُ الأيِّدُ

عامر : لَيْتَ الزَّمانَ لي بِهِ يَجُودُ وَبَعْدَهُ تَطْوِينُ اللَّحودِ !!
يَظْهَرُ لي مِنْ بَعْضِ ما أَرَاكَ أَنَّكَ تَهْواها كَما تَهْواكَ
يا لَيْتَ حَظِّي مِنْ وَجُودِي ذاكِ إِذْ لَكُنْتَ حامِداً مَولِيا
وما شَكوتُ مِثْلَ مُشْتِكاكَ

همام : عامر مِمَّا زادَنِي اِرتِباكاً أَنّا اِشْتَرَكنا في الهوى اِشْتراكاً
أَشْكو نَواها وَهِيَ تَشْكو ذاكِ فَيَسْتَهْلُ مَدْمَعِي اِشْتِباكاً
لَمّا بَلّاهَا وَبَلّا أَخاكاً

عامر : (في حزن)
لا تَحسَبَنَّ هَجرها هَجرَ شَرَفٍ لِفِرطِ غَنجٍ أو دِلالٍ أو ظَلَمٍ
لَكنَّهُ أَشْنَعُ ذَنْبٍ يُقَرِّفُ تَتَرَكُنِي زَوْجاً إلى غَيري تَزِفُ
وَصَلِّ عَقْلَها مَعِي لَمّا يَجِفُ

همام : رَبّاهُ في كُلِّ مَكانٍ ذو شَغْفٍ يُسَلِّمُهُ الحَبُّ إلى مَهْوى التَّلَفِ
رَحماءُ بِالعِشاقِ مِنْ جَورِ الهِيفِ ما غارَ مِنْ غُورٍ وَلَمْ يَعلِ شَرَفِ
إِلا وَفيهِ مَغْرَمُ القَلبِ دَنِيفُ

المشهد الرابع

(يصلان إلى حي عامر في الريدة (بلاد البدو) . يذهب
عامر لسقي جملة وإراحته ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهية : (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)
أهلاً بمن وافى دار أخي عامر
إنزل على الرحب في المنزل العامر
وأمر بما شئت فإنك الأمر
(تهى أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام : بورك يا أخت فيك وفي عامر
سَرَّيْتما عني بلبالي الثائر
سماحة البادي يجهلها الحاضر
ناهية : (منادية)

هلم يا سُعدى هلم يا بُنى !
لنم حيين ضيف أحيكنا
(تدخل فتاتان جميلتان متلثمتان وتصافحان هماما . ينظر
إلى إحدهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية : (لهما)
إني أرى عينيك عيني شاعر قل ما تشاء ويك لا تحاذر
لا بأس عندنا بلحظ الناظر إنا نرى العفة في الضمائر

همام : رأيت بلداً نصفه في السحب والنصف مبين
هبي عليها يا نسيم واكشفني ذاك الجبين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لو أزاحت لثامها لك ما أنت فاعل ؟
ولو انجابت السحائب ما أنت قائل ؟

همام : سأريها الغزال لو أن بلداً يغازل
وسـتـروي روائعي في هواها القبائل

ناهية : همائم ! ما البدويـا ت عند غيد المدائن ؟
الموقرات من التبر حاليـات المحاسن
كأنما أنت بالبد و ساخر أو مداهن !!

همام : لا والذي فلق الحـب ، سره فيه كامن
لفي المهي البدويـا ت معجزات المحاسن
لحـاظهن سـهام لها القلوب . كنائن
قدودهن رمـاح في كل قلب طواعن
جـسامهن الطيـيعي زاحـر بالمفـاتن

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب أبو الطيب السامي على كل شاعر
تعامي حسان الحضر في الشعر ناسباً بما في البوادي من مهّيّ وجآذر
ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعايب
(حُسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب)
(يدخل عامر)

عامر : يا مرجباً بهمام النَّدب : إنزل على سعةٍ على رحب !
هل تشركوني في حديثكم فلعلكم تجلّون من كربى

ناهىة : ضيفك بهوى البدويّات : ولا يحسب الحضريّات

عامر : أتجبهن همام ؟ إنك شاعرٌ ماذا تعشّق في ظباء البادية ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دلهما : ولحاظها مثل السهام الماضية
وتُميلني سكرًا طوال قدودها وتشوقني منها الخلال العاليه

عامر : إن كنتَ تعشقها فخذ لُبني (مشيرًا إلى لبنى)

ونخذ إن شئتَ سَعدي (مشيرًا إليها)

(مشيرًا إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية

(يضحك الجميع ويضحج المجلس بالضحك)

ناهىة : أما أنا فلا أحبُّ شاعرا يَلْفِظُني تمرًا ويهواني رطب

يُطالِعُ الغَيْدَ الحِسانَ دهرَه فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدري من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشتبها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيّ شيء يفضلُ الشاعر يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لَقبلةٌ واحدةٌ من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودّعها مُهَجَّتَه فيرتوي منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطبّعها على الجبين ذاكرًا كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخَ الهوى بقبلة الخدين أو لثم الشفاه

(ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيمًا . ويبقى

ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد أشركتُ في عبادتِه
ماذا أقول لحبيبي خنتُه في غيبتِه ؟
أيدّعي هواه من يُخفّرُه في ذمتِه

* * *

كأنني بالحب يلبو نبي بسوطِ نِقمتِه
ألحدتُ في توحيدِه لم أحشَ من عقوبتِه
أكلما لاح جمال همت في صبايتِه ؟

ناهية : عامر ! ما للضيف لجُ غارقُنا في غشيتيه ؟
إنني أخاف أن يصا بَ في الحمى بميتته

عامر : دعيه ! خليـه ! فإني عارفٌ بمحنته
سينجلي عنه الذي أصابه من سكرته

همام : (باقياً في ذهوله غير منبه لما بين يديه مستطرداً في حديثه)
يا حسنُ ! لا تعاقبي عبـدك في جرمته
فقد أتاك تائبُنا من ذنبه وهفوته
ما كان إلا عابداً حُسنك في قداسـته
يشهده في كل وجـه زاهر بفتنته
في طلعة البدر ، وفي الظبي وحُسن لفتته
وفي زهور الـروض في ريعسه ونضرتـه
وفي وجوه الغيد شيءٌ من ضياء غُرته
يختلف المحراب والـر بـه بوحدانيتـه

(يدار بعامر ويغشى عليه . ترتاع أخواته وتأخذن في
تنبيهه برش الماء عليه)

- ناهية : عامر !
- عامر : ها !
- سعدى : عامر !
- عامر : ها !
- لبنى : عامر !
- ناهية : قم يا عامر !
- همام
- همام : (مفيقاً من ذهوله)
- ما ل عامر ؟ هل نـ هـام ؟
- ناهية : (لنفسها) يهذي الآخر !
- (ثم لهما) أما تراه ساقطاً مغمى عليه يا همام ؟
- روعتما قلوبنا الليلة في هذا الظلام ؟
- همام : لا تخافي سوءاً على عامر إني لأدري بما يعانيه عامر
- أسمعيه اسم زوجته يصـ حـ من إغمائه
- ناهية : إنها لزوج غادر !
- همام : إن تكن غادراً فإن هواها
- ناهية : إنه قد سلا هواها ؛ أيها
- همام : صدقيني بأنه ما سلاها
- ناهية : غصنُ ! يا غصنُ !

عامر : (يمسح جبينه)
 أين غصنٌ أ جاءت ؟ مرحبًا مرحبًا بأكرم زائر !!
 راجعيني يا منية القلب يا منية القلب
 بالله فإني لما جنيت لغافر !
 (بصوت منخفض)

أو فخافي من عامر فسيردي - لك - على رغم أنفه - وابن كاسر
 (يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته)
 أين غصنٌ أيمت جهة المخدع ؟

ناهية : يا عامر اتبه يا عامر !!
 لم تجعنا غصن ودع عنك غصنًا
 إن في حينًا مئآت الحرائر !

همام : (لعامر)
 عامر قم بنا نصل فرضنا
 (يلتفت للنسوة)

وقمن أنتن فهيئن الوضوء
 وقمن صلين جميعًا خلفنا

ناهية : ويحك هل على النساء مفترض ؟
 لا نعرف الصلاة هل تريدنا
 مثل الرجال للصلاة ننهض ؟
 حسب الفتاة عندنا استقامة
 بأن تصوم الشهر إذ ترمض

عامر : حتى الرجال بعضهم يصلي
 والأكثر الأكثر من تخلّى !
 وكنت فيما مرّ من أيامي
 أخشى من الخمس على أنعامي
 فإن غضبت مرة على جمل
 رميته بركتين فاحتمل !

حتى علمتُ بعد ذاك أنه وهمٌ فأقسمت لأتركه
ومنذ ذاك ما تركت الخمسا وما رزئت بكرةً أو عنسا

همام : رياه هل تبلغ دعوة النبي إلى ربي الصين وأقصى المغرب
وتخطي الدعوة أرض العرب؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب الذنب ذنب قارئ الكتاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب إذ لم يثوا دعوة الوهاب
في البدو أهل الجهل والغلاب وعطلوا بأوهن الأسباب
وصية النبي والأصحاب

همام : (في أسف وحزن)
شغلتهم قبابهم والقبورُ أن يقوموا بدعوة أو يسيروا
حسبوها في نسكهم كل شيء فعلام الإدلاج والتهجير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر إليه التيسير والتعسير !
وإليه اللجا وفيه المرجى وعليه التكلان وهو المحيرُ
كاشف الضرِّ إن أُصيبوا بسوء فإليه ابتهاهم والحضور
وإذا ما ابتغوا قضاء مرام فإليه قربانهم والنذور
كيف ترجى هداية البدو منهم وهم عن سنا الهداية عور ؟
إن حسب البداة أن يستظلوا في حمى دجلهم وأن يستجيروا
ويكونوا على هواهم نزولا بيديهم شئونهم والأمور
حسب ذلك الخضوع ليضحوا سُعداء وذنبهم مغفور

آه لو هُذِّبَ البداءُ لأمسوا وبهم للأثم خير كثير
ولكنفوا عن قتل بعضهم البعض وقطع السبيل وهو كبير
ولساد الأمان وانبسط الخير وزال الشقا وعم السرور

* * *

المشهد الخامس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جملته وهمام يشد
حماله يتهيأ للسفر)

همام : (راكباً على حماله وعامر يبحث جملته)

عامر : أنت الذي شبيت بالتذكّار نارا بقلبي يا لها من نار !
عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة

همام : كيف انطرحت ساقطاً مغمى عليك ؟
عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسمي استرح !!
أواه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الخبب الدعي !

همام : يا عامر أتمدّ وخل الطيشا فقتلك النفس يُمرُّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها منهاها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبيُّ المصطفى المختار !

همام : ويمحك ! لا تحلف بغير الباري
فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي ومحبي الميت
لأسقينَّ النغلَ موتاً أحمرأ وأروين من دمائه الثرى
وأفتكنَّ بعده بالفاجره أقلّفها قبلي لدار الآخرة !

همام : يا عجباً تقتلها وترتقب بعد لقاءها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليّ غيرتي عليها تركي سوايَ أويأ إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمدأ !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلِكَ الأنفس بالطغيان ؟

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟
أنت تقول الحلف بالنبي
قد ذهب الناس فحل اللوما
محرم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا
عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم
جهلاً بكل رمة من الرمسم ؟
يرون إيلاءً بعد الله
أعظم من إبلاتهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك
أعزز علي أن أراك عاقلاً
فليس من يدخل منهم رمسك
منور الفكر وتغلدو قاتلاً

عامر : همام إنني شاكر وداك
فإن أطق الكف عن ضلالي
ونصحك المحوض واجتهادك
فإن أطق الكف عن ضلالي
وإن تغلب الشقا عليه
فلمست إلا من بني غزيه !

الفصل الرابع

المشهد الأول

« همام - خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت
عائداً إلى سيون - بعد أن قضى عامين ببلاد جاوا - راكباً
على حماره ومعه دليله النجاف حاملاً فوق ظهره رزمة من
الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام	: أسرع السير يا دليل !	أسرع السير يا دليل !
	إن بي ظمأة لما	بسيوون سلسبيل
	بلّ مني صدى الجوى	واشف من جوف الغليل
	ليت شعري - وكادت النفـ	س من يأسها تسيل
	ومضت أربع طوالـ	وعمر النوى طويل -
	في انتظاري - والانتظا	ر لأهل الهوى قنول
	أترى الوصل لي متا	ح أم الوصل مستحيل ؟
	أئذا ما دنوت ميلا	تباعدت ألف ميل ؟
	قسماً بالحبيب ! - أستغـ	فر الله ! - بالجليل
	لا أرى الوصل ممكناً	أو أرى وجه الجميل
	وأراه بعين رأسي	بلا حائل يحسول !
	وأحسّ اليمين في	فرعه مرة تجول !

ضاق صدري ، وعيل صبي
وتساهى بيّ الجوى
وتداعى أضراسي
واستحالت قريحتي
أتهادى كشـارب
جـاحم في جوانحي
كلما قلت : ذاب قلبي
رجّ صدري خفوقه
فحنانيك لا تـلـم
ليت شعري هل لي إلى
فأمانني أو شـكـت
أبحلي وحدي أنا الجـد
أسرع السير يا دليل
فري وضلت بي السبل !!
وبرى جسمي النحول
من نشيج ومن عويل
من ذكاء إلى ذهول
أو هنت ساقه الشمول
يتلظى بلا فتيل
وغالته منه غول
فتوقعت أن يميل !!
أو فلم أيها العذول
ما تمثيته وصول ؟
أن تموت من الذبول
ب والخصب في الحقول ؟
أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أبا الحضر هل ترى
لست أحتاج أن تقول :
لي من النفس سائق
أختشي أن يفوتني
(يصمت قليلا ثم يقول)
رجلاً سيره ثقیل ؟
أسرع السير يا دليل
ينهب الحزن والسهول
« نصر » نجاب (باعقيل)

أين نصر مني ؟ وأين
أنا سيري منظم
وهو يشتد في الدميم
من المضمهر الهزيل ؟
لا بطيء ولا عجل
ل فيعتاقه الذميل

أنا غول القفار وابـ — من الدياميم والهجول
 لا أبالي إذا مشيتُ أذى الشمس والوحول
 : ما لتجارنا عباديد شتى همام
 كثروا عدة وقلوا غناء
 وأضاعوا بالافتراق الجهودا
 وغدوا كل واحد يريد
 ما لهم لا يوحدون اليريدا ؟
 فيطبقوا إرساله كل أسبو
 ع ويجروا به نظاما سديدا
 إن في طوفهم لو اتفقوا أن
 ينشئوا السفن في البحار عديدا
 وبها يستغنون عن سفن لأجـ
 سبب يصلهم العذاب الشديدا
 ولقد كان للحضارم في البحـ
 ر سفن أيام كانوا أسودا
 جاريات من الخليج لبحر الـ
 هند حتى (أندونيسيا) لتعودا
 داؤنا أننا نخب جماعات
 وقد ندرك النجاح فرودا
 أسرع السير يا دليل ! أسرع السير يا دليل !
 واصل السير لا مبيت — إذا شئت — أو مقل
 (متهكما) : النجائب

أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل
 هل تراني طيارة هل تراني أوتومبيل ؟؟
 (يشير بيده إلى طريق السيارات التي بدئ بإصلاحها بحضرموت
 بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعييدها)
 دونك انظر طريقه ! فتنهى عما قليل
 : ليته قد مشى فأو صلي الليلة (السحيل) (١)
 همام

(١) الجانب الغربي من سيون .

النجاح	: لا رعى الله عهده	إنه عهد عزرائيل
	لا تقدره يا إلهي	وعسى له السبيل !
	وإذا تم فأبلسه	بأذى البدو والقبيل !
	وإذا ما مشى فلا	فارق الوحل والسيول !
همام	: قل لي لأية علة	أبغضت خلقاً من حديد ؟
	ماذا جناه عليك حتى	سى خلته الخضم العنيد ؟
النجاح	: هو قاطع رزقي القليل	ل غداً وأرزاق العديد
	من كل جمال وحم	سار وماش بالبريد
	أتريدني كالخضر إذ	خالوه مفتاح السعود ؟
	وبشير آمال النهو	ض وفجر أيام الصعود
	تَعَسُوا وخاب رجاؤهم	وتعشرت بهم الجدود !!
همام	: (لنفسه)	
	فهم الفتى البدوي ما	لم يفهم الناس الرشيد
	(ثم للنجاح)	
	حييت من فطن فدا	وك كل ذي ذهن بليد
	ما قلته كاف لي	سقت ما يضر ولا يفيد
	وراء ذاك سوام أبرص	تنفث السم المييد
	سأل الممالك والشعو	ب وهیضة العصر الجديد
	من كل لص قاتل	للمال والخلق الحميد
	لكن ظلم الناس بع	سضهم لبعضهم عتيد !
	ليعيش فرد واحد	لا بأس من شعب يبيد !!
	ولسوف يجنون الندا	مة منه والأسف الشديد !

المشهد الثاني

« منبسط من الأرض فسيح يرى في آخره من جانب
الوادي مدينة « سيوون » على بعد بحيث لا يتبين الناظر إليها
إلا بياض منائرها وأبنيتها العالية محفوفة بهالة عظيمة من خضرة
النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

أهذه سيوون أم	:	همام
للّـه ما أجملها		
تحسبها — من بُعد —		
قد نثرت في تربها		
تفوح في أرجائها		
يخنو عليها جبلٌ		
تضرب في أجوائها		
كأنها أعمدة		
تجعلها الرياح في		
أو كقرون حامل الـ		
أثقله آثامها		
قبابها زاهية		

جنة عدن أزلفت للمتقين
منظرها الزاهي يسر الناظرين
حديقة خضراء تسقى من معين
جنابذ اللؤلؤ والدر الثمين !
روائح الورد وعرف الياسمين
كما تضم طفلها الأم الحنون !
منائر تخفى مراراً وتبين
قامت عليهن السماوات المشون
تلعبها أهدافها إذ ينيرين
أرض على قرنيه فيما يزعمون
فمرقت من جوفها تلك القرون
لو لم يكن حرمها أسمح دين

(همام في بلاد الأحقاف)

هَدَمَ بعضها (بنو الـ توحيد) فيما قد خلا من السنين
فهى ترى كأنها بيض نعام أجفلت من صائدين
ريعت فداست بعضه فهو على الأرض فليق وطحين

* * *

لئن يكن منظرها وحسنها الزاهي متاع المبصرين
فإن في مخبرها خير متاع لقلوب النازلين
تفردت جسامانها بالظرف واللين إلى خلق متين
ورقة كأنها نسيب (عباس) أرقته اللحون
كأنما أنت إذا جُزت بها تخطر ما بين الغصون
إياك من لحاظها إياك أن تصرع من سحر الجفون

يتنهد

كأن (حسناً) أفرغت على رباها من جمالها المبين
نضارة كخدها تعب حتى ترتوى فيها العيون
ورقة في جوها كما تندى خجلاً منها الجبين
في مائهـا حلاوة من ريق حسن ما حمور الأنـرين؟
وفي محيـا شمسها ملاحـة من ذلك الوجه الحسين
وفي قـلـود نخلها من قد حـسن هيف به تزين
صباحها الفضة قد سالت على زمر من الغصون
وزهب أصيلها بيتـعـث الأـنس ويـهـتـاج الشـجون
من نحرها وثغرها ووجـتـيـها سـرقـا تـلك الفـتون
وليلها مـعـنـير كـفرعـها في عـرفـه وفي الدـجون

مدينة شبيهها في حضرموت وسواها لا يكون
(يتأوه)

لولا توانى أهلها لقلت هذه جزاء العاملين
ليس لديهم عمل إلا قضاء الوقت في طر مشين
يشقون في غربتهم بالجمع للمال وهم مقتصدون
حتى إذا ما وصلوا إلى بلادهم إذا هم يسرفون
كأنهم قيـاصـرٌ يُـنـدـون المال لا يكثرثون
ولا يفكـرون في خدمتها بالنزر مما يجمعون
ولا يزالون في غربتهم صناعة أو يخذلون
لينفعروا أو طانهم بها إذا عادوا إليها راجعين

* * *

المشهد الثالث

(همام في مكتبه وعنده صديقه محمد يزوره زيارة
خصوصية بمناسبة قرب زواج همام)

همام	:	محمد
محمد	:	لييك !
همام	:	ماذا ورا ءك من خير ؟
محمد	:	ليس عندي خير

سوى أن قلبي مستبسر
وأنتك سوف ترى من تُحب
بنيل المنى وبلوغ الوطر
قريباً وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مِرْبَة بعد في
فقد درجت في انتظاري السنو
لقاء حبيب فؤادي الأغر
ن وما بُلَّ من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جُمَادَى اللقا
ء تلاشت جُمَادَاهُمْ في صفر

محمد : همامُ زمان المطال انقضى
أتغري بقلبك بِرُح الشكو
وهذا أو أن الوصال ابتدر
ك والوصلُ بعد غدٍ منتظر ؟
وهذي بيوتك قد زينت
وأهلوك في نَشَوَات الحَبَر
وأكدتُ أمس على المطريين
ن - على رغم أنف الذي قد خطر -
بأن يحضرونا مساء الزفاف
وصبحَ الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو
ن بذلك ؟
محمد : رضوا بعد طول النظر

همام : محمد ! لا أبتغي المطربين
لئلا يقال : لحظَّ هوا
نخشوا المانعين لهم أولاً
ومنعهم الناس أن يطربوا
فداويت بالمال ذاك الحذر
كما يطربون . دليل البطر
سوى كبريائهم والأشر
على أنني لك ممن شكر
ه دعا للمساواة بين البشر
وإن سروري بالوصل لا
ولكن سيزدان بالمطربين
زواجك ! هلاً به تفتكر !!

صديقي إلى مَ تحامَ الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد المقيبل ، وحيد البكر ؟
: همام رويسك !

محمد

« يتدبره البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .

: (لنفسه) ويلاه مال — صديقي أدمعه تبتدر .. ؟
أشق عليه كلامي ؟

همام

(ثم لمحمد) محمد — د زلت لساني ألا تغفر ؟
: (لنفسه)

محمد

إلهي أبحتُ بسر الهوى وكنت على كتمه أصطبر ؟

: صديقي أتحسب أنك سؤ ت فؤادي ودأبك لي أن تسر

ثم لهما

أمثلك يجرحني قوله ؟ فتلك لعمرى إحدى الكبر

ويا ابن الأكارم ماذا جنيت حتى تنصل أو تعنذر ؟

همام كتمتك جهدي الهوى ولكن أبى الحب أن يستتر

همام أنعهد مني البكاء همام أتعرف في الخور ؟!

وكنت ألومك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عثر !

وأعجب كيف تصول الظبا ء على الأسد؟ حتى رماني القدر!

: محمد ! لا تحسن الدموع ودعها على رسلها تنهمر !

همام

فإن القلوب إذا أجديست بحزن فإن الدموع المطر !

وقل لصديقك أي الظبا ء رماك وصرح له بالخبر

فما في الصباية عار على فتى طاهر الذيل عف الأزر

محمد

: (يكفكف من دموعه)

همام أتذكر « علوية »
سليلة طه ، فتاة الحجى ،
أتنى يوماً على حالة
محمد ! هذا أوان الغياث
مضت ليلتان وما عندنا
وأختي غارقة في السقا
وزوجة عمي في طلقها
وعمي سافر منذ شهو
وكان لدينا بحانوته
فشنع إخوانه بل عداه —
يُدنس أحسابنا إذ يرو
فما أنهت القول حتى غلو
وأذهلها الحزن عن موقفي
فأبصرتها من خلال الحجا
رأيت الجمال ، رأيت الجلال
وراحت تنث عليّ الثنا
وقد تركني سليب الفؤا
أردد أقوالها في الضمير
فهاأنذا بعدها يا همام
رحمت فأسعفت ثم انثيت
فلطفك يا رب فيما قضيت
نصيرتنا في الجهاد العسير ؟
مثال الكمال مثال الطهر
تذيب القلوب وتجري العبر
وهذا أوان تلافي الخطر
من القوت شيء به نعتصر
م وإنني لأحسبها تحتضر
تعاني المتاعب والوقت قر
ر فلا عاش مضطره للسفر
يعيش ويتجر فيمن تجر
عليه ، وقالوا : ليم قذرا
ح إلى السوق كالنلس أو يبتكرا
ت ويوشيك قلبي أن ينفطر
فلم تحفظ ولم تستتر
ب كما لاح بين السحاب القمر
رأيت الهوى والشباب النضرا
ء بما قد قضيت لها من وطر
د قليل القرار ، كثير الفكر
ترن بأذني كصوت الوتر
قصير الرقاد طويل السهر
وفي كبدي مثل وخز الإبر
فلم يُنج مما قضيت الحذر

همام : يا صديقي عندي إليك عتاب واطراح العتاب مني قبيح
أكذا تكتم الحوادث عني وبما دونها إليك أبوح ؟

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي فاعفُ عني فأنت عني صفوح
إن عيب الهوى عليّ ثقیلٌ وبثيک سرّه أسّریح
غير أنني كتمته عنك جهدي حذرًا أن ينالك التبريح
ولو أنني نظرتُ فيك لحظي يا خليلي للذلي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري فاسلُ عنه فإنه مطروح
إن ما أنت آملٌ سوف أغدو ساعيًا في تحقيقه وأروح
فدع الهم إنها سوف ترضا ك وحسب المليح زوج مليح
محمد : (لنفسه)

هو يدري بأن ما أتوخا ه مُحال من الأمور طروح^(١)
فهو يبغي بذاك تخفيف حزني إنني بالأسى إذا لذبيح

* * *

المشهد الرابع

(ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » فيما بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه - في سير بطيء - إلى جهة بيت همام) .

القينات	:	نحن نزف الشمس	والشمس في ضحاها
		فما أجل عرسا	يغمره سناها !
الجمهور	:	نحن نزف الشمس	والشمس في ضحاها
		فما أجل عرسا	يغمره سناها
القينات	:	نحن نزف الحيا	نحن نزف المني
		نحن نزف الضيا	نحن نزف السنا
الجمهور	:	نحن نزف الشمس
	
القينات	:	يا عصابة الغواني	هلم للتطريب !
		اشدون بالأغاني	واهتفن بالنسب
		واضمذن بالأمانى	دوامي القلوب

الجمهور	:	نحن نرف الشمسسا
القينات	:	حيين بالسلام
الجمهور	:	وافئان بالانغام
الجمهور	:	نحن نرف الشمسسا
القينات	:	روائح الجنان
القينات	:	كأئما المغاني
الجمهور	:	نحن نرف الشمسسا
القينات	:	نحن نرف الملك
الجمهور	:	فهل لديكم فلك
الجمهور	:	نحن نرف الشمسسا
القينات	:	يا قمر السماء
الجمهور	:	نحن نرف الشمسسا

(يقربون من بيت همام)

القينات	:	سُقن إلى همام	جمال هذا النادي
		واحدون للضرغام	لباة هذا الوادي

الجمهور : نحن نرف الشمس

... ..

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار
النسوة اللاتي زفن « حسنًا » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ،
ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن
بالدفوف .

القينات : اليمُن والإقبال والسعد والسعادة

للمُعرسين فال والفضل والزيادة

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نرف الحسنا نحن نرف بلقيس !

ثم سائرهن : نحن نرف لبنى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار بحية : همامنا كالمأمون إن زفتم بوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكُن بلقيسًا فإنه سليمان !!

: النصر للعروسة !

نسوة الزفاف

: بل هو للعروس !

نسوة الدار

: للبدرة النفيسة

نسوة الزفاف

: للجوهر النفيس !

نسوة الدار

للحُرّة المصونة وربّة الجمال

نسوة الزفاف

للبدرة المكنونة واسطة اللاّلي !

: لمفخر المدينة لسيد الرجال

نسوة الدار

: الناس يعرفونه بكرم الخلال

نسوة الزفاف

: النور والشعاع ووهج الشموس

نسوة الزفاف

والجواهر اللّماع	وحبّيب الكؤوس	
جميعها أشياع	لهذه العروس	
: أجد والكمال	وكرم الأخلاق	نسوة الدار
والقول والفعال	وحسب الأعراق	
جميعهنّ آل	عروسنا الغيداق	
: نحن نرف الحسنات	نحن نرف بلقيس	نسوة الزفاف
نحن نرف لبنى	فهل لديكم من قيس ؟	
: همانا كالأمان	إن زفقتهم بوران	نسوة الدار
وإن تكن بلقيسنا	فإنه سليمان	
: كلا العروسين زين	للمجد والعلاء	القينات
فلا تفاضلن بين	سراجي السماء	
أين الجرة أين	كواكب الجوزاء	
أصوغهنّ لذين	تاجين بالسواء	
: يا رب باركهما	في ذا الزواج السعيد	القينات ثم الجميع
واجعل زمانهما	كأنه يوم عيد	
وانفحهما بالوئد	مثل دراري النجوم	
في ظل عيش رغد	وفي صفاء يدوم	

الفصل الخامس

المشهد الأول

علوية : (على فراش المرض . حسن تعودها في بيتها) .

علوية	: عُدَّتْني حُسن؟ مرحبًا بك يا أخـ	ست !
حسن	:	وقاكِ الإله ما تحذرينا !
علوية	: أقصري حُسن أن تمنّي على ربك	ما الذي تشتكين ؟ نفسي فداء لك من كل علة تشتكين !
	بل سلى الله لي الشفاء عسى أن	سوءًا لعله أن يكونا
	أو سليه لي العزاء فإني	يقبل الله منك ما تسألينا
	حسن ! إني أحسّ في الصدر نارًا	لا أرى الداء تاركي أو أبينا
	أشرب الكأس بعد أخرى من الما	تتلظى كأنّ فيه أتونا !
	أحسب الماء يستحيل بحوفي	ء فلا أرتوي كما ترتوينا
	أنا لا أستطيع أن أدع الما	هبا في الحشى يمن أنينا
حسن	: لا تخافي سوءًا فمثلك في العفـ	ء ، ولا الماء قادر أن يُعينا !
	تبذلين المعروف جهدك لنا	ة والنبل ما نغى الوالدونا
	وتراعين للجوار حقوقًا	س ، وتولين منهم المسكينا
	وتوالين من يحامي عن الحق	وتواسين بائسًا وحزينا
	فإله الورى سيرعاك ، لن يتـ	وإن غاظ فعلك الأهلينا
		رك يومًا عباده المحسنينا

علوية

: قدك ؛ هذا جميل ظنك في أحد
إن ربي بخلقهِ للطيف
غير أن العباد بعضهم يظن
أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي
وتصديهم لما ليس يعني
مات زوجي ووالدي فلم يُبق
غير عمي - وأنت تدرين ما عم
قد وهى جسمهُ ، وخارت قواه
أجأوه إلى السفار ليجلو
زعموا أن بيعه وشراه
ثم إني مكثت في عصمة الأيـ
لم يجني منهم ليخطب ودي
وأبي عالم وجددي حير
ولعل المرأة تصدق عني
: بل تعالى الذي براك ، وحلا
سطعت أنوار النبوة فيه
: وأتاني محمد وهو من بيت
رجل يملأ الصدور كمالاً
كان لي كلما تضايق حالي
وهو كفتي وكفاء أفضل مني
فأتوا يزجروني عنه حيناً
ما رأوا لي من قبل ذلك داراً

حسن

علوية

ستك ، لا خيب الإله الظنونا
يتولى عباده الصالحينا
لم بعضاً ، عن ربهم ساهونا
لي وأبناء عمي الأقربينا ؟
هم ، وعن واجباتهم يعرضونا
لي الدهر عائلاً أو خدينا
سي ؟ فقير يناهز الستينا
وابتلاه السقام حيناً فحيناً
عنهم العار ، هكذا يزعمونا
يكسوان الأشراف في القطر هونا
م وفي رقة الزواج سنينا
أحد غير فتية عاجزيننا
وأصولي أئمة متقونـ
إن وجهي ما كان في الحسن دو
ك جمالاً يحير الناظرينا !
فاستحالت مباهجاً وفتونا !
حسيب أصلاً كما تعلمينا
وخلالاً كما يسر العيوننا !
ساعداً قبل خطبتي ومعينا
حسباً أو فضيلة أو ديننا
ويسوموني التهلاً حيناً
فأتوا بعد ذاك يستبقونا

ما ثناهم عن خطبتي غير فقري ليس عندي ملال ما ينشدونا
 ذهبوا لابنة الغني وإن لم يك من بيتهم وإن كان دوننا
 وانبروا بمنعوتنا من سواهم فلمن ويحننا إذا يتركوننا ؟
 فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! بم أبكي وقد أرقت الشموخنا ؟
 رب ! كن لي وللتعيسات مثلي ليس بين الأنام من ينصفونا

(لا تتمالك حسن عن البكاء فتنهمر الدموع من عينيها)

علوية : مِمَّ تبكين حَسَنُ ؟
 حسن : من أجل بلوا بك فؤادي أحسه مطعوننا !
 علوية : تب ذا العيش ! لا هوى لي في العيش إذا لم تحظي بمن تعشقينا
 حسن : أقصري حسن ! بل يظل همام بك في غبطة بها تسعدينا
 علوية : نحن نحبي وأنتما ؟
 علوية : فوقنا الله — ه سياسو جراحنا ويلينا
 فوقنا الله ..
 حسن : فوقنا أيضًا الله — ه سياسو جراحنا ويلينا

المشهد الثاني

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن	: حبيبي ؟	
همام	: أجل مُنيّتي !	
حسن	: أمالك في قبلة ؟	
	تعال إلى جانبي	أمالك في ضمة !
همام	: (يهوى إليها)	
	بلى يا حياة الفؤا	د ، وليك يا مهجتي !
	هيني لماك هيني	أطفئ به غلتي !
	هلمي نطف بالحيا	ة كالنحل بالزهرة !
	فما في المنى مثل قبـ	لة الزوج للزوجة !
	ننال بها نعمة	وحسبك من نعمة
	ونجني بها لذة	وناهلك من لذة
	وهل كنعيم يجيء	من الله بالرحمة ؟ !
حسن	: حبيبي ! أمالك عن	هوى الشعر من توبة ؟ !
	أبي أنا وحدي نسيـ	بك أم بي وبالنسوة ؟
	أرى نبرات العُمو	م تعصف بالوحدة
همام	حبيبة قلبي ! أقلبي	عليّ من الغيرة
	هلم ادخلي للفؤاد	وافضي إلى الحبّة !
	فهل تجدين بها	لغيرك من عُلقة ؟

- حسن : كذا فلتكن لي في حياتي وفي موتسي
فما في حياتي خشيتُ بل بعدها خشيتي !
حيي اغتسم ساعة من الصفو والبهجة !
فقد لا تطول حيا تي ، وتقصر بي مدتي !
همام : دعي عنك هذا ، وقو لي سوى هذه الجملة
بربك لا تذكرني لنا شبح الفرقة !
فلم نسترح بعد من متاعها الجملة
ولم نقض بعض اللبا نة من هذه اللقية
حيي لا تلجني واشفق على عبرتي !
حسن : (تبكي) أحس كأن الحما م مني على خطوة !
وبهمس لي خاطري بأنني على رحلة !
همام : دعي عنك هذي الوسا وس ، جسمك في صحة
ووجهك هذا الجمي ل ينبع بالنضرة
وسوف تجوزين عُمـ ر جلدك والجلدة
حسن : سَلِمْتَ حيي لي !
همام : ولي أنست يا بُنيتي !
حسن : لقد زال عني الذي شعرت من الخيفة
وذابت همومي منـ ك في كوثر الجنة
همام : فديتك ! حُسنٌ ستبقى بييتي كالشمعة !
وتأذن لي بالرحيل لأم القري مكية
وتدعوني لي الله أن يُقصرَ من غيبيتي
كما تترجأه أن يحقق لي طلبتي

حسن	: أحجَّاً تُريد ؟
همام	: أجـل
	لأسعى هناك لتزويـد
	محمدٌ جلفُ الفراش
	أضرَّ به اليأس في
	وأخشى عليه المنيـ
	وأخبرني أنـه
	وأنَّ بـأم القـرى
	فقد جاء منها أبو
	وفتش في النسوة الـ
	فقالوا له : لاتمـا
	فثارت به غضبـة
	ومالت به عزـة
	وقال إذا لم يكـن
	فلا بـارك الله في
	وزوجه ذو الجـلا
	فعاش سعيد الفـوا
	كذا عن أبي أمـه
حسن	: همام ! يُؤمن الإلـ
	يرافقك الله في
	وإنني لمسـرورة
	ومن كمحمد في
	وشيثاً من القـربة
	سج خلـي من خلـي
	ينوء من العلـة
	هـواه لعلو يـة
	ة من هذه الصدمـة
	يمت إلى العـرة
	معالم ذي النسـبة
	ه إلى هذه البلـدة
	شرائف عن زوجـة
	ثك في بيتنا أثبتـ
	وبورك في الغضبـة !
	وبورك في العـزة !
	لدي سوى نسـبتي
	خلالي ولا همـستي !
	ل من أمـه الـيرة
	د بها هانئ العـشرة
	حكى مُجمل القصـة
	ه وفي الحفظ والعصمـة !
	خطى هذه السـفرة
	برعيتك للصـحبة
	ولائك والذمـة !

بِحَبِّكَ عَطْفِي عَلَيْهِ وَحُبِّي لِعُلُوبِي
أَلَمْ يُسْعِيا قَبْلُ فِي دُخُولِكَ فِي عَصْمِي ؟
أَلَمْ يَسْذِلْ الْجُهْدَ فِي هَنَائِكَ أَوْ غَبْطِي
وَقَدْ عَدْتُهَا أَمْسٍ وَهِيَ تَقَعَّقُ بِالسَّافِرَةِ !
بِنَفْسٍ تَرِيدُ الْحَيَاةَ عَلَى جَسَدٍ مَيِّتٍ !
تَنُوحُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَزْخَرُ بِالْحَسْرَةِ !!
وَقَدْ أَنْفَدَتْ دَمْعَهَا فَتَبْكِي بِلا دُمْعَةٍ !
رَثَيْتُ لَهَا يَا هُمَامُ ! وَخَفْتُ عَلَى خَلْقِي
لَأَنِّي أَرَاهَا تُشِيرُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ خُفْيَةٍ !
فَمَنْ أَجْلُهَا يَا هُمَامُ شُكُوكِي فِي صَحْفِي
وَإِحْسَاسُ قَلْبِي بِأَنِّي قَرِيبٌ مِنَ النُّقْلَةِ
وَلَكِنْ لَعَلَّ الْإِلَهَ يَكْشِفُ مِنْ مَحْنِي
سَامِضِي لَتُبَشِّرَهَا وَتَفْرِجَهَا بِسَالَتِي
لَعَلَّ بِهَا أَنْ تَكْفُفَ مِنْ عِلْنِ اللُّوْعَةِ !

المشهد الثالث

(محمد على فراش المرض . ليس عنده سوى أمه
العجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخادم بمكتوب فيفضه
بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه) :

يا حبيبي ! مني عليك سلامٌ وسلام الرحمن فوق سلامي
يا حبيبي إن المنيّة جامٌ كلنا شاربٌ بذاك الجام
والسعيد الذي يموت سليمٌ الـ قلب عَفَّ الرداء من كل ذام
فمتى جاءكَ النّعيُّ بموتي فترحم على شهيد الغرام !
أنا في النزاع يا حبيبي فصبراً لا تَضَعُ لحادث الأيام
ووداعاً إلى اللقاء! على الكو ثرا في الخلد! في جوار السلام!
إن تحلُّ بيننا الحياةُ ففي الخلد سدِّ سنحظي بلقيّة ووائم
سيرى الحائلون دون الجيبين جزاء الإله ذي الانتقام
علويّة

محمد : (يتقلب على الفراش ذات اليمين وذات اليسار بجهد
ومشقة)

هي في النزاع! آه ما أعظم الخطبـ ب وأقسى على فؤادي الدامي!
هي في النزاع! ربّ هَوْن عليها! حسبها ما رأت من الآلام!
منعوها الحياةَ ظلماً فأودوا بـ حياة بريئة الأحلام
رب! لاخير في الحياة! فألحقـ نـي بها واكفني عناء السقام
هي روح الوجود مني وما يُصـ نـعُ بعد الأرواح بالأجسام؟

أَكْذَا نَتْرُكُ الوجودَ ولم نَحْظْ بوصول ، ولم نَفْزِمَ مرام ؟
أَكْذَا يُرْفَعُ البساط وما دَا رَتْ عَلَى العاشِقِينَ كَأْسَ مدام ؟

(يحاول أن ينحرف إلى جنبه فلا يستطيع من الضعف والإعياء)

رب ماذا أَحْسُ ؟ هذا فتور عَجَبَ في مفاصلي وعظامي !
خار جسمي فما أَطِيقُ حراكًا ! وتناهت بُرودة الأقدام
ما لرأسي أَضْحَى عَلَيَّ ثَقِيلًا وجفوني يُغْرِيسُنِي بالمنام !
ويدي لا تطيق حمل سِوَاكِ ! ولساني تعثرت بالكلام !
وفؤادي دقاته تتوالى علَّ هذا نذيرُ قرب الحِمَامِ
(يتذكر صديقه همامًا)

أَيْنَ وَلَّى هَمَامٌ ؟ يا ليتَه عند سدي أراه في مُتَهَيِّ أَيَّامِي !!
نضر الله وجهه من صديق مخلص لي على مدى الأعوام
كم هداني من الضلال، وكم عبَّ سد سُبُلَ الحياة من قَدَّامِي
أم صوبَ الحجاز في لفحة الصيف ف حريصًا على قضاء مرامي
ليس يدري أنني بمدرَجَةِ المو تِ وأني على شفير الرِّجَامِ
ومضى غيرَ عالم أن حُسْنًا مُنِيتَ بعده بِجُمَمِي لِزَامِ
ليت شعري إن جاء نعي همامًا ثم ماذا تكون حال همام ؟
أو أصيبت - لا قدر الله - حسنٌ فهي أدهى فجائع الأيام !
وهو في غُرْبَةٍ وليس لديه من يهدِّي فؤاده المترامي !
مُنَّ يَا رَبِّ بالشفاء عليها لا تذرْها رَمِيَّةً للسهامِ

* * *

إن من خلفها فتى ينصر الحق جَهَارًا وعن هَذَاكَ يحامي

شع من هديه على القطر نور
واستعاد الجمود سلطانة الضحى
هي سلوانه الوحيد من الدن
عونه إن جنى الجهاد عليه
(يمسك بيديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنا الخلاص ! فصبراً
وستلقى الحبيب في ربوة الخلد
وسأغدو إلى الإله فيعفو
وسأشكو إليه من رزأوني
وأراقوا دمي البريء ، وضحواً
تخذوا الدين جنةً يتوقفون
فسيدرون أنني علويّ
غير أن الحمام أهون عندي
وإدعائي به على الناس فضلاً
عز دين الإسلام ! قد جعل لنا
لم يدع ميزة لزيد على عم

سوف تسلو هذي الجراح الدوامي !
سد يحبك ثغره بابتسام !
عن ذنوبي وسالف الآثام
- في ربيع الحياة - في أحلامي
بحبيبي في مذبح الأوهام !
ن بها في الورى سهام الملام
تنتهي نسبي لخير الأنام
من فخاري بالجد والأعمام
يتقاضاهم رسوم احترامي !
س سواء في شرعه المتسامي
ولا حارث على همّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان ترونو إليه
في ذهول وتحدار دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)
إصبري يا أمه ! فالله أبقى لك مني ومن جميع الأنام !

(يصوب نظره إلى السماء)

رب رفقا بقلبها المتشظي ! وحنانيك بالدموع الهوامي !
كن لها إن أنت ضحى بطعامي فتنادي وليس رب الطعام !
كن لها إن أنت سريري لإيقا ظي ؛ فترتد عنه والقلب دام !

(تنحدر من عينيه دمعان كبيرتان ويدخل في دور
الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب ! من ذا أرى ؟ ملائكة الموت ؟ ألا مرحبا بوفد السلام !
رب ! إني آمنت أنك أنت الله — رب الجلال والإكرام
ونبيي محمد سيد السادات طه إمام كل إمام
كل زادي إليك خالص توحيد — لدي فهد لي يا رب حسن الختام

المشهد الرابع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه
موزع البريد ويسلم إليه برقية من عدن . يوقعها همام فيخرج
الموزع .

همام : (بيده البرقية لم يفتحها بعد)

برقية ! ما شأنها قل لي ؟ هل مات لي أحد من الأهل ؟
إنني أحس كأن حادثة جللا ستُفجنى على مهل
يا برق ماذا أنت تحمل لي إننى أراك تنوء بالثقل !
قلبي يحدثني ؛ ولم أره يوما يحدثنى على جهل

(يفتح البرقية ويحيل نظره فيها بسرعة)

ماذا ؟ أماتوا ؟ أماتت حُسنُ ؟ واكبدي
رباه .. ا خذ بيدي ! رباه .. ا خذ بيدي !
(يسقط من معدنه على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران
له من الحجاج هدة سقوطه فيفتحان عليه الباب حيث يجذانه

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويرشه
على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس) :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى
غير اللقاء ! وواحنسي وواكمدي ؟
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !
كأننا أنا لم أخلق لأشهد من
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !
اليوم أسكب دمعي غير منقطع
إن غاض دمعي يمدّده دم الكبد !
يا رب لم يبق لي في العيش من أرب
فلقني راحتي في هذه البلد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أماتت إذا حسن؟ ومات محمد وماتت على أثر السقام فتاته !
ثلاثة أحبائي بيوم فقدتهم ! فيا لفؤادٍ أنجنت طعناته ؟
يلوب من الشكوى ويدمي من الأسى وليس إلى غير الإله شكاته
محمدُ يا خير الأخلاء والذي صفتُ مثلما تصفو المدام صِفاته
حنانيك لا تبعد! لمن أنت تاركي؟ لقاسي زمانٍ أولعت بي عُذاته ؟
ويا ساعدَ الإصلاح والباسل الذي به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أتمضي ولم نهتك من الجهل ستره وما انفضَّ عن صرح الجمود حُماته ؟
 أتمضي وفي جنبك قلبٌ معطش من الحب لم تُبلِّلْ بوصلٍ لهاته ؟
 أحين ظفرنا بانتسابك واضحاً تُغصُّ به حلقَ الحسود شجاته ؟
 أحين ظفرنا بانتسابك واضحاً تكفُّ به طرفَ الحسود قذاته ؟
 وكنت على قاب من الوصل هائلاً تطلُّق عن غرِّ المنى بسماته ؟
 وأنت فتاة النبل والطهر والحجى تغشك من رَوْح الرضى نفحاته
 لضاعف من حزني فراقك أنه فراقٌ به لاقتُ حبيبي وفاته
 أراك وفاءً ما رأى الناس مثله فدئى لحبيب بالوفاء مماته
 ولم أنسه لما رآك مريضة فجاشت به في مشهدي حسراته ؟
 (تنهمر دموعه)

يقول : كاني يا همام سأنتهي كأن حِمامي قد أقيمت صلاته !
 فقلت له : دع عنك وهمك، إنَّ ذا حَيَّاك نَضْر لم تحُلْ قَسَماته !
 فأصغى لقولي واطمأن فؤاده وقرّت - على سُخر الردى - رجفاته
 وما كنت أدري أنني أنا واهم وأن حبيبي صادق كلماته !

(يريد أحد الجارين أن يقيم هماماً من الأرض فيجذبه

صاحبه)

دَعُوهُ يُرْسِلْ دَمْعَهُ	من بكى الشجر استراح
وَإِذَا مَا كَبَتَ الْـ	حُزْنَ فِي جَنِيهِ طَاخُ
وَيَحْجَهُ مِنْ مُوجَعٍ :	دَمِيَّتْ مِنْهُ الْجِرَاحُ !
صاحبه :	س وقد صاح وناح
همام :	كأن فمي شُكَّتْ بِرَمَحِ لَهَاتِهِ !
رثاؤك في قلبي يهدّ أضالعي	وتدفع في أحنائها ضرباته
ولا يستطيع الشعر وصفًا لهوله	وتقصر عن تصويره خطواته
على أنه الشعر الذي الشعر دونه	سرت في الورى مسرى الضحى بيناته
وإن قريضًا أنت مصدر وحيه	لتسجد عُزَاهُ لَهُ وَمَنَاتِهِ !
يميل بعطف الكون قدسيّ لحنه	وتعذب في سمع الدنى نغماته
تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الْبَلَاغَةِ دُونَهُ	وَتُزْهِى بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ رَوَاتِهِ
تُغْصُّ بِهِ حَسَادُهُ وَهُوَ سَائِغٌ	وَأَقْتُلُ مَاءَ لِلْحَسُودِ فِرَاتِهِ
ولكنه الخطب الذي الخطب دونه	تلقاه قلب لا تلين صفاته
ولو غيره أضحى به بعض ثقله	لقامت عليه في المساء نعاته
فها هو ذا قلبي كسيرًا محطّمًا	تفيض دُمًّا تُجَاكِسُ جَنَابَاتِهِ
لمن أطلب العلياء بعدك ؟ إنما	حَدَّثَنِي إِلَيْهَا مِنْ سَنَّاكَ حُدَاتِهِ !
وأين سبيل المجد بعدك ؟ إنما	بنور محياك انجلت ظلماته
فأنت الذي علّمت نفسي ركوبه	ولولاك ما ذلت لها صهواته !
ولقنتها حُبَّ الهدى وجهاده	ولولاك ما اجتيزت لها عقباته
أتمضي وما جفّت رياحين عُرسنا	وما برحت بسّامة زهراته ؟
أتمضي ولما يشفّ قلبي أوامه	وما شقّقت أكمامها صبراته ؟
سلام على قَبْرِ الْحَبِيبِ وَرَحْمَةً	وغيث رضى ما تنتهي قطراته

لئن كان أنسي في الحياة لقاءه فأنسي وهمي بعده ذكرياته !
 كأنني بالشجر الجميل على فمي ترف به في نشوة قبلاته !
 كأنني بالفرع الجميل بمنكبي تداعبني في عرفها خصلاته !
 كأنني يميناه تحول بمفرقي فتلثمها في نشوة شعراته !
 لئن حالت الأيام بيني وبينه وقدر للشمل الجميع شتاته
 ففي جنة المأوى غداً سوف نلتقي بفضل كريم لا تحدهباته
 وإن عزاء القلب إيمانه به وقد فارقه في الحياة حياته
 (ينهض فجأة)

خذوني خذوني إلى المسجد خذوني إلى زمزم عليها
 خذوني إلى زمزم عليها خذوني لأستار بيت الإله
 خذوني لأستار بيت الإله دعوني أذهب إلى خالقي
 دعوني أذهب إلى خالقي دعوني أحط على بابه
 دعوني أحط على بابه فإن أحي على لطفه
 دعوني أحط على بابه وإن يأتني الموت أستشهد

(يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جواره . يقصد زمزم
 فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف
 تجاه الملتزم ويتعلق بستر البيت :

الحمد لله اطمأن قلبي ! هأنذا بين يميني ربي ؟
 إن عظمت مصيبي وخطبي فالله يرعاني وهو حسبي !

يا رب أنت الواحد القهار وأنت ذو الرحمة والجلال
تفجرت من نورك الأنوار وقصرت عن كنهك الأفكار

* * *

يا رب لا نقض لما أبرمتنا ! فرضني رب بما حكمتنا
لعلني أجهل ما علمتنا من صالح لي في الذي أقمنا

* * *

يا رب ألهمني العزاء الشافي ! واضميد جروحي منك بالألطف
وآتني عزائم الأسلاف فأنت لي الكافي ونعم الكافي

* * *

وأولني مناي في الدارين (حسناً) اجمع بينها وبينني
في دار خلد بين جنتين أقرربك بذلك عينها وعيني

* *

يا رب وارفع (أمة الإسلام) واقذف بها إلى المقام السامي
حتى ترى خفاقة الأعلام على جميع الكون بالسلام

* * *

وَوَحَّدَ (الْعُرْبَ) ، فَإِنَّ الْوَحْدَ تَحْيِي لَهَا ماضِيَّهَا وَعَهْدَهُ
تَعِيدُ بَعْدَ الْإِنْدِرَاسِ بِجَدِّهِ وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ يَوْمًا وَعَدَهُ

* * *

وَانْظُرْ إِلَى (الْأَحْقَافِ) بِالرَّعَايَةِ وَأَوَّلِهَا بِفَضْلِكَ الْعَنَايَةَ
بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْهُدَايَةَ فَجَلَّ عَنْهَا الْجَهْلُ وَالْعَمَايَةَ

* * *

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى الْمَخْتَارِ خَيْرَ الْأَنَامِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
وَأَلِّهِ وَصَحْبَهُ الْأَطْهَارِ مَا طَلَعَتْ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ

* * *

هَذَا وَقُوفِي خَاشِعًا بَيْنَ يَدَيْكَ ! وَتَائِبًا مِنْ كُلِّ آثَامِي إِلَيْكَ
مُتَّكِلًا فِي كُلِّ أَحْوَالِي عَلَيْكَ لَيْتَكَ يَا رَبِّ الْجَلَالَ لَيْتَكَ !

* * *

(سِتَارُ الْخِتَامِ)

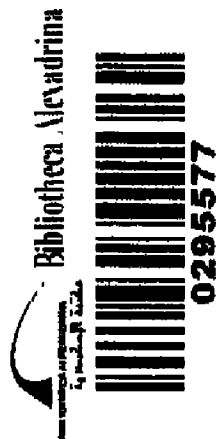
للمؤلف

- ١ - هُمام أو في بلاد الأحقاف
- ٢ - أحناتون ونفرتيتي
- ٣ - سلامة القس
- ٤ - والإسلاماه
- ٥ - قصر الهودج
- ٦ - الفرعون الموعود
- ٧ - شيلوك الحديد
- ٨ - عودة الفردوس
- ٩ - روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- ١٠ - سر الحاكم بأمر الله
- ١١ - ليلة النهر
- ١٢ - السلسلة والغفران
- ١٣ - الثائر الأحمر
- ١٤ - الدكتور حازم
- ١٥ - أبو دلالة (مضحك الخليفة)
- ١٦ - مسمار جحا
- ١٧ - مسرح السياسية
- ١٨ - مأساة وأديب
- ١٩ - سر شهر زاد

- ٢٠ - سيرة شجاع
- ٢١ - شعب الله المختار
- ٢٢ - إمبراطورية في المزاد
- ٢٣ - الدنيا فوضى
- ٢٤ - أوزوريس
- ٢٥ - فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات)
- ٢٦ - دار ابن لقمان
- ٢٧ - قطط وفيران
- ٢٨ - إله إسرائيل
- ٢٩ - هاروت وماروت
- ٣٠ - الزعيم الأوحى
- ٣١ - جلفدان هانم
- ٣٢ - قاب قوسين
- ٣٣ - الفلاح الفصيح
- ٣٤ - ملحمة عمر (١٨ جزء)
- ٣٥ - جبل الغسيل
- ٣٦ - هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧
التزقيم الدولي : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفيحاء



الثنى ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحر وشركاه